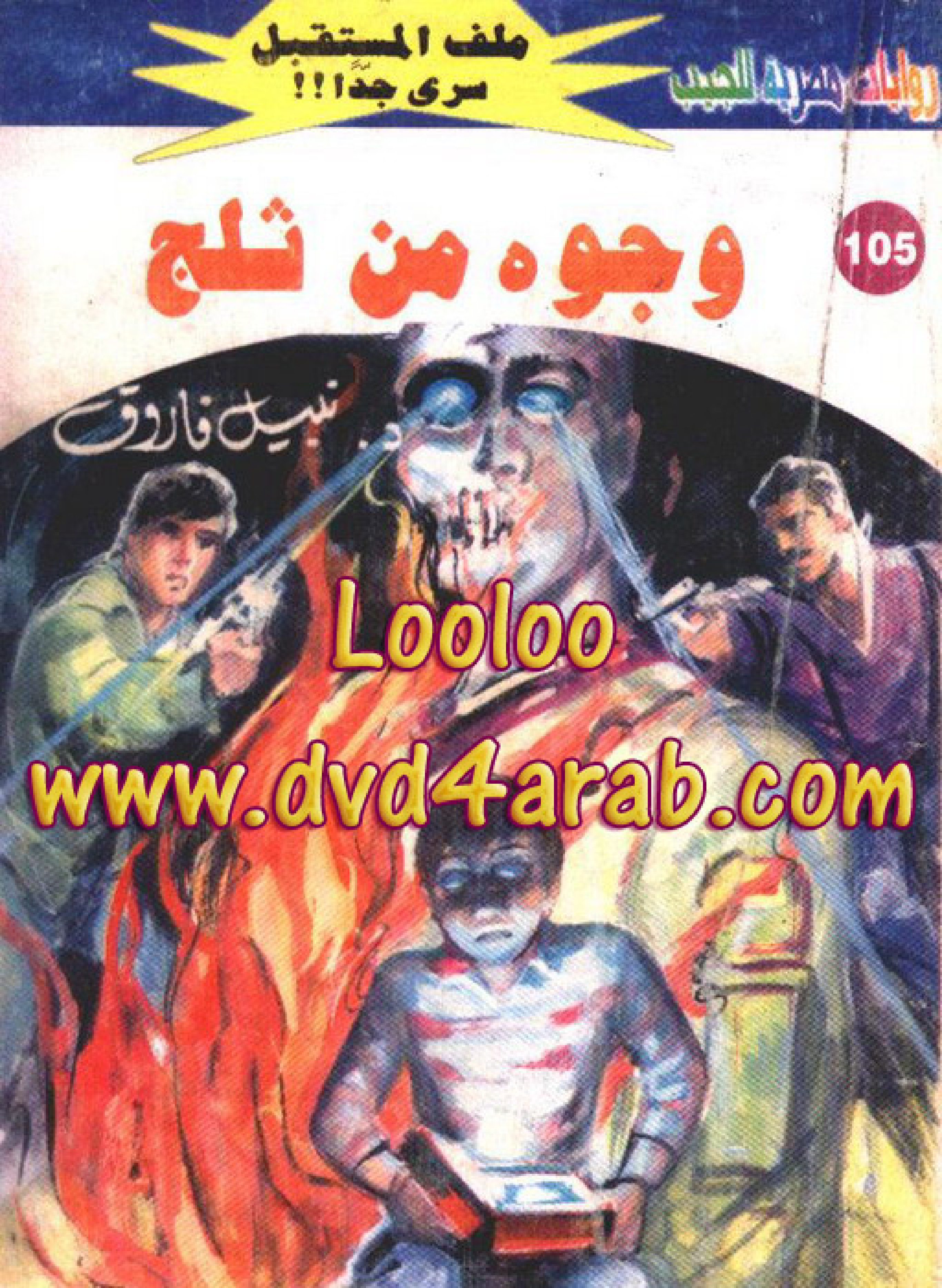

ملف المستقبل
سرى جدا!!
روايات مصرية للجيب
105
وجوه من ثلج
نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - اللّهب ..

جرت الاستعدادات على قدم وساق ، فى القاعدة الفضائية المصرية ، فى تلك الليلة الحارة ، من ليالى القرن الحادى والعشرين ، وانشغل العاملون فيها فى متابعة التجهيزات الأخيرة ، والعدّ التنازلى ، تمهيدًا لإطلاق المكوك الفضائى (أمن) ، الذى يحمل قمر المراقبة الصناعى الجديد ، وبدا مزيج من القلق والتوتر على وجه مدير القاعدة ، وهو يقول لمساعده :

ـ أتمنى أن تتم هذه العملية بنجاح ؛ فهذا هو أوّل قمر مراقبة دفاعى مكتمل ، يتم إطلاقه إلى المدار الأرضى ، منذ أيام الاحتلال (*) .

أومأ مساعده برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. لقد أطلقنا عدة أقمار صناعية علمية ، وأخرى للرصد وأعمال الاتصالات ، ولكن هذا القمر بالذات يمثّل خطوة هامة فى مسارنا الدفاعى والعسكرى .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

لم ينبس أحدهما بعدها ببنت شفة ، وهما يتابعان العدّ التنازلى ، الذى شارف نهايته ، وبدأت ألسنة اللهب وأعمدة الدخان تنبعث من فوهة العادم فى الصاروخ ، الذى يحمل مكوك الفضاء(*) ، والذى بلغ استعداده للإقلاع مرحلته الأخيرة ، والعد التنازلى يتواصل ، حتى بلغ الصفر ..

وهنا انطلقت ألسنة اللهب فى عنف ، وراح الصاروخ يرتفع فى بطء ، حاملاً مكوك الفضاء والقمر الصناعى الأمنى الجديد ، ثم راحت سرعته تتزايد تدريجيًا ، حتى بلغت ذروتها ، وهو يفقد مراحله ، واحدة بعد الأخرى(**) فى أثناء اختراقه للغلاف الجوى ، إلى أن بلغ مرحلته الأخيرة ، التى دفعت المكوك بحمله الثمين إلى الفضاء الخارجى ..

(*) مكوك الفضاء هو تطوير أمريكى لفكرة الصواريخ التقليدية ، تعتمد على إطلاق صاروخ يحمل سفينة فضاء أشبه بالطائرة ، تمتلك قدرة مدهشة على المناورة فى الفضاء ، ثم يمكنها الهبوط فى سهولة ، كما تهبط طائرة عادية .

(**) لكى تتمكّن الصواريخ من عبور الغلاف الجوى ، والتقليدية على الجاذبية الأرضية ، تحتاج إلى استخدام عدة مراحل للإطلاق ، عبارة عن خزانات وقود ضخمة ، تنفصل عند نفاد الوقود منها ، لتخفيف الوزن ، ومنح فرصة للمرحلة التالية من الإشعال .

ولدقائق عشر ، راح المكوك يسبح بحمله فى الفضاء ، يقوده رائد فضاء محنّك ، بمعاونة أحدث أجهزة الكمبيوتر ، عبر مسار معدّ مسبقًا ، حتى بلغ الموضع المفترض أن يستقر فيه القمر ، قبل أن يبدأ عمله ، فانفصل عنه فى هدوء ، وتراجع المكوك فى بطء ، وقائده يقول ، عبر جهاز الاتصال الفضائى :

ـ المرحلة الأخيرة من الرحلة تمّت بنجاح ، وسيبدأ القمر عمله آليًا ، بعد دقائق خمس ، وعندئذ تبدأ رحلة العودة .

تنفّس مدير القاعدة الفضائية الصعداء ، وهو يتلقى هذا التقرير ، واسترخى فى مقعده ، وهو يقول لمساعده :

ـ حمدًا للّه .. كنت أخشى أن يحدث ما يعكّر صفو الرحلة .

ابتسم مساعده فى ارتياح مماثل ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا سيّدى .. كل شىء يسير على ما يرام ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واعتدل فى حركة حادة ، محدّقًا فى شاشة الرادار ، فانتفض المدير فى مقعده ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار المساعد إلى شاشة الرادار الفضائى ، قائلاً :

ـ هناك جسم ما ، يقترب من المكوك الفضائى بسرعة منتظمة .

قال المدير فى توتر شديد :

ـ ربما كان نيزكًا ضالاً ، أو ...

قاطعه المساعد فى انفعال :

ـ كلاً .. إنه ليس نيزكًا .. السرعة التى ينطلق بها أكبر مما يمكن أن ينطلق بها نيزك عادى .

ثم انتقل بسرعة إلى الراصد الفضائى ، مستطردًا فى توتر :

ـ ثم إن الراصد لا ينقل صورته ، كما لو كان جسمًا خفيًا .

انعقد حاجبا المدير ، وهو ينقل بصره بين شاشتى الراصد والرادار ، قبل أن يلتقط جهاز الاتصال ، ويقول فى انفعال :

ـ من القاعدة إلى (أمن) .. هل ترصد أجهزتك أى جسم فضائى يقترب منك بسرعة منتظمة ؟

أجابه قائد المكوك فى صوت يحمل دهشة حائرة :

ـ هناك خلل ما فى أجهزة المكوك حتمًا .. المفترض طبقًا للرادار أنه هناك جسم يقترب منا ، وأنه الآن فى

مجال الرؤية ، ولكن لا أنا ولا الراصد الفضائى نلمح شيئًا .

صاح المدير ، وهو ينظر إلى شاشة الرادار ، وقلبه ينتفض فى عنف :

ـ انطلق إلى شمال شرق الشمس يا (أمن) .. ابدأ مناورتك فورًا ، فالجسم يقترب منك بسرعة .

بدا قائد المكوك شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ لست أرى شيئًا .. لست أدرى من أين يأتى !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق عنده ، وفى القاعدة الفضائية فى آن واحد ، أزيز قوى متصل ، فهتف المساعد :

ـ القمر بدأ عمله .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت أجهزة القمر الدفاعى تبدأ عملها ، وتعدّل من موقعه ، طبقًا للبرنامج المسجّل ، ثم تطلق العنان لأسلحتها الحديثة ، لرصد كل ما يحيط بها ..

ومنذ اللحظة الأولى ، التقطت الأجهزة المتطوّرة ذلك الجسم ، الذى يقترب فى سرعة ، وراجعت إحداثياته على المسجّل لديها من بيانات ، ثم اتخذت قرارها بأنه جسم غريب ، لا يستجيب للإشارات ، ومن الضرورى الانتقال إلى الخطة الدفاعية الخاصة بمثله ..

ولأن الآلات لا تفكر ، ولا ترتبك أو تتوتر ، فلم تشغل الأجهزة الدفاعية نفسها بالبحث عن تفسير لعدم ظهور ذلك الجسم الغامض على شاشاتها الراصدة ، على الرغم من التقاط الرادار له ، وإنما وجَّهت كل أسلحتها إليه ، و ...

وأطلقتها ..

وانتفض قائد المكوك فى عنف ، عندما رأى الانفجار الصامت(*) ، الذى اندلعت منه ألسنة لهب زرقاء ، على قيد أمتار قليلة منه ..

ثم اتسعت عيناه فى ارتياع ، عندما انقضَّت عليه كتلة اللهب مباشرة ..

كانت أسلحة القمر الدفاعى قد أصابت هدفها بالفعل ، ولكنها لم تمنع اندفاعه الحر فى الفضاء ..

وفى القاعدة الفضائية المصرية ، رأى المدير ومساعده كتلة اللهب تنقضّ على المكوك ، فاتسعت عيونهما هلعًا ، وصرخ المدير :

- ربَّاه !.. إنه ..

وقبل أن يتم عبارته ، حدث الارتطام ..

(*) من الحقائق العلمية المعروفة أن الصوت لا ينتقل فى الفراغ .

ارتطمت كتلة اللهب بالمكوك الفضائى ، وسحقته سحقًا ، فانفجر وتناثرت أجزاؤه فى الفضاء ، قبل أن تواصل هى رحلتها نحو الأرض ..

ولم يكن الأمر فى حاجة لأجهزة رصد أو استقبال هذه المرة ..

لقد عبرت كتلة اللهب الغلاف الجوى الأرضى ، وتضاعف توهُّجها مع احتكاكها بالهواء ، فتألَّقت كشمس صغيرة زرقاء ، غمر ضوؤها (مصر) كلها تقريبًا ، وهى تهوى نحو هدف مخيف ..

نحو (القاهرة) ..

* * *

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى (نور) ، وهو يستقبل (أكرم) و (مشيرة) فى حديقة منزله ، فى تلك الليلة الحارة ، قائلا :

- مرحبًا يا (أكرم) .. مرحبًا يا (مشيرة) .. كم يسعدنا ، (سلوى) وأنا ، أن تقضيا سهرتكما معنا الليلة .

ضحك (أكرم) ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

- وكم يسعدنى أنا أن ألتقى بك لقاءً وديًا عاديًا ، دون أن تنقضّ علينا الوحوش والشياطين من كل جانب .

هتفت (مشيرة) :
ـ (أكرم) .. هذا الحديث لا يليق .
ابتسمت (سلوى) ، وهى تصافحها قائلة :
ـ لا تحاولى .. زوجك شخص منطلق بطبيعته ، وحديثه لا يضايقنا أبدًا .
ابتسم (نور) بدوره ، وهو يدعوهما للجلوس ، قائلا :
ـ أما أنا فقد اعتدته ، إذ إننى مضطر للعمل معه دائمًا .
أشار إليه (أكرم) هاتفًا فى مرح :
ـ لا تنكر أن انتصاراتك تضاعفت ، منذ عملنا معًا .
قال (نور) فى سرعة :
ـ تقصد انتصاراتنا .
هتف (أكرم) :
ـ آه .. يا عزيزى (نور) .. إنك تفسد محاولتى المضنية للتظاهر بالتواضع .
ثم مال إلى الأمام ، وغمز بعينه ، مستطردًا :
ـ ولكن لا بأس ، فهى لا تناسبنى أبدًا .. أنا أكثر ميلا للزهو .
ضحكت (مشيرة) ، قائلة :

ـ هل ستخبرنى ؟!.. إننى أدفع ثمن هذا الميل غاليًا .
كان لقاءً مرحًا ، فى عطلة نهاية الأسبوع ، بعد شفاء (نور) و (أكرم) من إصاباتهما الطفيفة ، فى مغامرتهما السابقة(*) ، وسرعان ما راح الجميع يتبادلون حوارًا هادئًا ، حول أحوالهم الاجتماعية والعملية ، وسألت (مشيرة) (سلوى) :
ـ هل من أخبار من المريخ ؟
ابتسمت (سلوى) ، قائلة :
ـ كل شىء يسير على ما يرام هناك ، (رمزى) حقق تقدمًا فى عمله ، أما (نشوى) فحملها مستقر ، وطفلها القادم سيدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، فهو أول طفل يولد على (المريخ) ، منذ إنشاء المستوطنة العربية على سطحه(**) .
سأل (أكرم) فى اهتمام :
ـ أمن الصحيح أن العلماء يحاولون تغيير الغلاف الجوى لكوكب المريخ ، بحيث يناسب حياة البشر ؟
أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (أنياب ومخالب) .. المغامرة رقم (١٠٤) .
(**) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١) .

- إنه ليس مشروعًا حديثًا ، فالعلماء يعكفون على دراسته منذ ثمانينات القرن العشرين ، ويؤكدون أن وجود ثانى أكسيد الكربون (*) بكثرة ، فى الغلاف الجوى لكوكب المريخ ، يجعل من الممكن القيام بتعديل مناخى له ، يطلق أطنانًا من الأكسجين(**) ، يتحول بعدها الكوكب إلى كوكب صالح لحياة البشر إلى حد كبير(***) .

مط (أكرم) شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

- سيدهشنى هذا كثيرًا فى الواقع ، ففى طفولتى ، كان الحديث عن الحياة على كوكب المريخ مجرّد جزء من أدب الخيال العلمى فحسب .

ضحكت (سلوى) ، وهى تقول :

- ما دمت تعمل مع (نور) ، فسيتلاشى بالنسبة لك ذلك الحاجز الواهى ، بين الحقيقة ، والخيال ، و ...

(*) ثانى أكسيد الكربون : غاز عديم اللون والرائحة ، يتركّب من الكربون والأكسجين ، لا يشتعل ، ولا يساعد على الاشتعال ، يذوب فى الماء ، ويمكن تسييله بالضغط ، يوجد بالهواء الجوى وهواء الزفير ، والثلج الجاف عبارة عن ثانى أكسيد كربون جامد .

(**) الأكسجين : غاز عديم اللون والطعم والرائحة ، لا يشتعل ، ولكنه يساعد على الاشتعال ، أثقل قليلاً من الهواء ، وشحيح الذوبان فى الماء ، وهو عنصر بالغ الأهمية ، يشكّل خمس الهواء الجوى ، وهو أساس عمليات التأكسد والاحتراق والتنفس والإصداء .

(***) حقيقة علمية .

قبل أن تتمّ عبارتها ، انبعث ذلك الوهج الأزرق بغتة ، وغمر الجميع على نحو مفاجئ ، جعل (نور) يقفز من مقعده ، ويرفع عينيه إلى السماء ، هاتفًا :

- ربّاه !.. ما هذا .

أما (أكرم) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتابع ذلك الوهج ببصره ، فى حين ، تراجعت (مشيرة) بحركة حادة ، كادت تسقطها مع مقعدها ، وشهقت (سلوى) فى قوة ، وقلبها يخفق فى عنف ..

ثم ران على الأربعة صمت رهيب مخيف ، وهم يتابعون ذلك الوهج الأزرق المخيف ، وهو يتضاعف ويقترب بسرعة كبيرة ، قبل أن يقول (نور) فى توتر :

- يا إلهى !.. إنه ينقضّ علينا مباشرة .

قال (أكرم) فى انفعال :

- هذا يبدو واضحًا ، ولكن السؤال : ما هذا الشىء بالضبط ؟

أشار إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

- بل السؤال الحقيقى هو : أين سيسقط بالتحديد ؟

ارتجفت (سلوى) فى رعب ، وهى تتشبّث بـ (نور) ، وكأنها تنشد الحماية فى كنفه ، وهى تقول :

- يبدو لى أنه يسقط على (القاهرة) يا (نور) .

غمغم محاولاً طمأنتها :

ـ من يدرى ؟.. ربما ..

لم يستطع إتمام عبارته ، وهو يتابع مسار ذلك الوهج الأزرق ، الذى بدا من الواضح أنه ينقضّ على (القاهرة) بالفعل ..

ومن الطبيعى أن هذا الأمر قد أثار موجة رعب هائلة ، لم تشهد (القاهرة) مثلها قط ، فى تاريخها كله ..

لقد انطلق الناس من ديارهم يصرخون ، ويجرون فى كل مكان فى يأس ، وقد وقر فى قلوبهم أنهم يشهدون لحظاتهم الأخيرة ، التى ستنتهى بسقوط ذلك الشىء على رءوسهم ، التى ستشتعل بنفس الوهج الأزرق المخيف ، و ...

ولكن فجأة ، حدث تطوّر مباغت عجيب ..

لقد انحرفت كتلة اللهب الزرقاء بغتة ، كما لو أن يدًا هائلة قد جذبتها ، وحوّلت مسارها بعيدًا عن (القاهرة) ، وهوت بزاوية مختلفة نحو أطلال (القاهرة) القديمة ، وهى تتألّق أكثر ، وأكثر ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، انطلق معه وميض أزرق رهيب ، اصطبغ به الليل كله لدقيقة أو يزيد ، مع ارتطام كتلة اللهب بالأطلال القديمة ، ثم راح يتلاشى بسرعة ، حتى اختفى تمامًا ، وعاد إلى الليل ظلمته وهدوؤه ..

وانطلقت من أعمق أعماق (مشيرة) زفرة قوية ، وهى تهتف :

ـ حمدًا لله .. لم أتصوّر قط أننا سننجو من هذا .

أما (سلوى) ، فقد انخرطت فى بكاء حار ، وهى تدفن وجهها فى كتف زوجها (نور) ، الذى تبادل نظرة صامتة طويلة مع (أكرم) ، قبل أن يعود كل منهما للتطلّع إلى تلك البقعة البعيدة ، التى حدث عندها الانفجار ، وقد وقر فى نفسيهما أمر واحد ، دون اتفاق مسبق ..

لقد شعرا معًا بأن ما حدث لن يمضى فى هدوء ..

وأنه ـ حتمًا ـ بداية لمغامرة جديدة .. ومخيفة .

* * *



٢ـ اللغز ..

على الرغم من أن (نور) و (أكرم) قد استقلا سيارة الأوّل ، فور وقوع الانفجار ، واتجها إلى موقعه مباشرة ، إلا أن السيارة لم تكد تبلغ منطقة الأطلال القديمة ، حتى اعترضها أحد ضباط الجيش ، وهو يرتدى زيه القتالى كاملاً ، ويقف خلف متاريس إليكترونية قوية ، بصحبة خمسة من جنود الصاعقة الأشدّاء ، الذين صوّبوا أسلحتهم إلى السيارة فى تحفّز صارم ، والضابط يقول :

ـ معذرة أيها السيدان .. محظور الدخول إلى هذه المنطقة .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ بهذه السرعة ؟!.. إننى أشهد لهؤلاء الرجال بالكفاءة يا (نور) ، فقد كنت أتصوّر أننا أوّل من سيصل إلى المنطقة .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إنها خطة الطوارئ القصوى ، التى يتمّ التعامل بها ، فى الحالات الحرجة للغاية ، والمفترض فيها

السيطرة على الموقف خلال سبع عشرة دقيقة فحسب ، بوساطة فرق طوارئ خاصة ، تنتشر فى أنحاء (القاهرة) وضواحيها ، ولما كان هناك فريق خاص بمنطقة الأطلال ، بعد التوترات التى أحاطت بها ، فى الآونة الأخيرة ، فقد تم تنفيذ خطة الطوارئ القصوى خلال دقائق معدودة ، بناءً على أمر كودى مباشر .

قال (أكرم) :

ـ عظيم .. أمر يستحق الفخر ، ولكن ما موقعنا من كل هذا ؟ .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يبرز بطاقته للضابط ، قائلاً :

ـ (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية .

ألقى الضابط نظرة على البطاقة ، ثم نقل بصره منها إلى وجه (نور) ، قبل أن يؤدّى التحية العسكرية فى احترام ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيّدى ، ولكن حتى هذا لا يمنحك الحق فى الدخول إلى المنطقة ، التى تخضع للحصار التام ، طبقًا للأوامر العليا .

قال (نور) فى حدة :

ـ ولكن هذا الأمر من صميم عملى يا رجل .

هزّ الضابط رأسه فى إصرار ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليس هذا من شأنى يا سيدى .. أنا منفذ للأوامر فحسب .

همّ (أكرم) بالانفجار فى وجه الرجل ، لولا أن ارتفع صوت مألوف فى هذه اللحظة ، يقول فى لهجة حاسمة ، وبصوت بدا وكأنه يأتى عبر جهاز اتصال قوى :

ـ الرجل لا يمتلك سلطة السماح لك بالدخول يا (نور) .

التفت (نور) و (أكرم) إلى الدكتور (ناظم) ، قبل أن يهتف (أكرم) فى دهشة :

ـ ربّاه !.. أما زلنا على كوكب الأرض ؟!

وكان لهتافه هذا ما يبرّره بالفعل ؛ فقد كان الدكتور (ناظم) داخل زى أشبه بأزياء الفضاء ، بخوذته الكبيرة ، وبصحبته عدد من الرجال ، فى أزياء مماثلة ، داخل سيارة أبحاث ضخمة ، تابعة لمركز الأبحاث العلمية ، الخاص بجهاز المخابرات ..

وفى اهتمام ، سأله (نور) :

ـ المفترض أن ما حدث يدخل ضمن نطاق عملنا .. أليس كذلك ؟

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح يا (نور) ، ولكن القيادة متوترة بشدة للموقف ، فمنذ وقع ذلك الاحتلال قديمًا ، وهم يتعاملون بحذر بالغ ، مع كل شىء يسقط من الفضاء ، خاصة وأن سقوطه ارتبط بعدد من الظواهر المريبة والمقلقة ، إلا أن هذا لن يمنعكما من المشاركة فى الأمر .. لقد استعددت لهذا ، وستجدان تصريحين بالمرور ، مع اثنين من الأزياء الواقية ، داخل سيارة الأبحاث ، وستجدان زميلة كفاحكما القديمة .

قال (أكرم) فى حيرة :

ـ زميلة كفاحنا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ نعم .. الدكتورة (هناء) .. إنها خبيرة بيولوجية ، ولسنا ندرى ما إذا كنا سنجد إحدى صور الحياة هناك أم لا ؟

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة تحمل شيئًا من القلق ، قبل أن يقول الأول فى حزم :

ـ لا أحد يمكنه الجزم يا دكتور (ناظم) .. لا أحد .

نطق (نور) العبارة ، وعقله يحمل مشهدًا واحدًا ، أبى أن يفارق ذهنه فى إلحاح ..

مشهد كتلة اللهب ، وهى تنحرف عن مسارها بغتة ،

لتتجهْ نحو الأطلال القديمة ، بدلا من سقوطها على العاصمة الجديدة .

فقد كان هذا المشهد يوحى له بالكثير ..

الكثير جدًا ..

« هل يقلقك الأمر إلى هذا الحد ؟!... ».

انتزعه السؤال من شروده ، فانتبه بغتة إلى أن سيارة الأبحاث تتوغل داخل الأطلال القديمة ، وأنه قد ارتدى زيه الواقى بالفعل ، فالتفت إلى صاحبة السؤال ، قائلاً :

ـ ألا يقلقك أنت ؟

هزّت الخبيرة البيولوجية (هناء حمّاد) كتفيها فى بساطة ، وهى تجيب :

ـ بالتأكيد ، ولكن ليس إلى الحد الذى يشرد فيه ذهنى ، على هذا النحو .

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول :

ـ هذا لأنك لست (نور) .

التفتت إليه ، قائلة :

ـ أهذا رأيك ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى بطء ، وهو يجيب :

ـ بالطبع ، فكل ما يشغلك أو يشغلنى الآن ، هو

ما الذى يمكن أن نجده هناك ، فى موقع سقوط كتلة اللهب الزرقاء ، أما (نور) ، فأراهنك على أن عقله بدأ فى دراسة الأمر بالفعل ، ووضع عشرات الافتراضات والاحتمالات ، ورسم مئات الصور والنظريات .. إنه عقل لا يهدأ أبدًا ، وهذا ما يجعله مختلفًا عن عقولنا البسيطة .

ابتسمت ، قائلة :

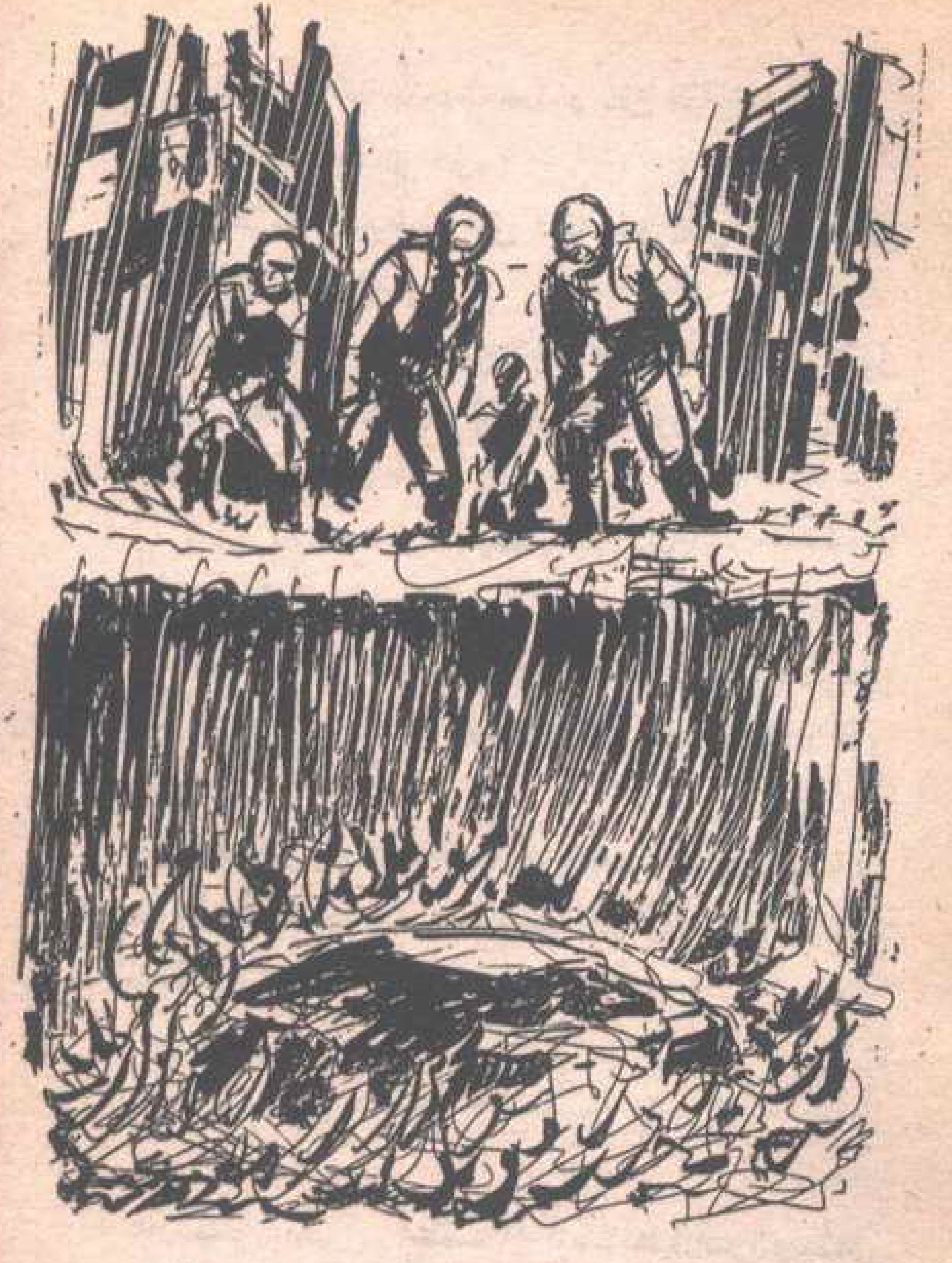
ـ أوافقك على هذا تمامًا .

مال الدكتور (ناظم) ناحيتهم ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى انفعال واضح :

ـ يؤسفنى أن أقطع حديثكم ، ولكننا وصلنا إلى الموقع .

ارتفعت عيونهم فى هذه اللحظة ، تتطلع إلى الفجوة الكبيرة فى الأرض ، وسط الأطلال القديمة ، والتى أحاطت بها دائرة خالية من الأطلال ، التى تناثرت أحجارها وصخورها على نحو عجيب ، يوحى بشدة الانفجار وقوته ..

وحول الفجوة ، وعند أطرافها بالتحديد ، انعكس ضوء أزرق باهت ، يوحى بأن بريق اللهب لم يخمد بعد ..



لم تكن الفجوة بالعمق الذى توحى به شدة الانفجار ، وكان يستقر داخلها جسم غير واضح الملامح ..

وكان المشهد مهيبًا بحق ، حتى أن الجميع لاذوا بصمت مطبق ، وهم يغادرون السيارة الكبيرة ، ويتجهون فى خطوات بطيئة نحو الفجوة ، وهم يقدمون قدمًا ويؤخرون أخرى ..

وعندما بلغوا حافتها ، امتلأت قلوبهم برهبة غامضة ..

لم تكن الفجوة بالعمق الذى توحى به شدة الانفجار ، وكان يستقرّ داخلها جسم غير واضح الملامح ، مازالت تندلع فى بقاياه تلك النيران الزرقاء الباهتة ..

وفى خفوت أشبه بالهمس ، غمغم الدكتور (ناظم) :

- يبدو لى أشبه بنيزك عادى مشتعل .

قال (نور) فى حزم :

- ولكنه ليس كذلك بالتأكيد .

تطلّعوا إليه فى شىء من الدهشة ، يمتزج بالكثير من التوتّر ، وهو يتابع :

- النيزك العادى لا يغيّر مساره هكذا بغتة .. لقد رأيتموه جميعًا ينقضّ على (القاهرة) ، ثم انحرف فجأة ، واتجه إلى هنا بشكل مباشر ، وكأنه تعمّد إبدال خط سقوطه ، حتى لا يؤذى الآمنين .

ارتفع حاجبا (هناء) فى دهشة ، وهى تقول :

- (نور) .. إنك تتحدث كما لو كان هذا الشىء ..

قاطعها (نور) فى حزم :

- عاقلا .. أو بمعنى أدق ، كما لو كان هناك كائن عاقل ، يقود هذا الشىء .

بدا التوتر على الجميع ، وهبط عليهم صمت ثقيل رهيب لحظات ، قبل أن يقول الدكتور (ناظم) فى صرامة :

- (نور) .. هذا الرأى يحتاج إلى دليل .

أجابه (نور) فى سرعة :

- إننا لم نبدأ البحث بعد يا دكتور (ناظم) ، ومن يدرى ؟.. ربما لو بحثنا جيدًا ، لعثرنا على الدليل ، الذى ننشده .

ومرة أخرى ، عاد الصمت يغلفهم جميعًا بغلاف ضيق ، جثم على أنفاسهم ، وعقولهم تردد على نفوسهم السؤال ذاته ..

من يدرى ؟..

من ؟!..

* * *

« سيدى المدير .. أعتقد أن لدينا هنا أمرًا يستحق الاهتمام .. » .

نطق مساعد مدير المحطة الفضائية المصرية بالعبارة ، وهو يتابع شاشة كمبيوتر الراصد فى اهتمام ، فمال المدير نحوه ، يسأله فى توتر :

- وما هذا الأمر بالضبط ؟

ضغط المساعد زر الاسترجاع ، فى الشريط المسجل لواقعة سقوط كتلة اللهب الزرقاء ، وهو يقول :

- عندما راجعنا هذا الشريط فى المرة السابقة ، فاتتنا ملاحظة أمر بالغ الأهمية .

قالها وهو يضغط زر الإعادة ، مستطردًا فى حزم ، لا يخلو من رنة توتر ملحوظة :

- هذه صورة الكتلة الملتهبة ، وهى تسقط فى الأطلال .

تم عرض الفيلم المسجل للواقعة ، منذ إصابة ذلك الجسم الخفى فى الفضاء الخارجى ، وحتى سقوطه فى الأطلال القديمة ، وتابع المدير المشاهد فى اهتمام ، قبل أن يهز رأسه فى حيرة ، قائلاً :

- كل شىء يبدو لى كما شاهدته فى المرة الأولى تمامًا .

أشار مساعده بيده ، قائلا :

- هذا لأننا نعرض الشريط بالسرعة العادية

يا سيِّدى ، ولكن دعنا نعد عرضه فى بطء ، وستشاهد شيئًا مختلفًا .

قالها ، وهو يعيد عرض الشريط فى بطء شديد ، جذب انتباه المدير فى شدة ، وهو يتابع المشاهد ، والكتلة الملتهبة تهوى عبر الغلاف الجوى ، حتى تلك اللحظة ، التى تغيَّر فيها مسارها ، فأشار المساعد إلى الشاشة ، وهو يقول فى انفعال :

- انظر هنا ..

مال المدير إلى الأمام ، ليدقِّق النظر فى الشاشة ، حيث تبيَّن له جسم ضئيل للغاية ، بدا أشبه بنقطة باهتة ينفصل عن كتلة اللهب ، فى نفس اللحظة التى غيَّرت فيها مسارها ، ليواصل هبوطه فى خط مستقيم نحو (القاهرة) ، فاعتدل يسأل فى انفعال :

- إنه أمر مثير للاهتمام بالفعل ، ولكن أين هبط ذلك الشىء الصغير ؟

تنهَّد مساعده فى حرارة ، قبل أن يهزّ رأسه فى أسف ، قائلاً :

- لا أحد يدرى .. لقد تابع الراصد مسار كتلة اللهب كإجراء طبيعى ، وتجاهل مسار ذلك الجسم الصغير تمامًا .

مطَّ المدير شفتيه ، وهو يقول :

- يا للخسارة !..

ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، واستغرق فى التفكير لحظات ، قبل أن يستطرد :

- ولكن ربما لا يكون الأمر بالأهميَّة التى نتصوَّرها .. إنه مجرَّد قطعة انفصلت عن الحطام .. ما الذى يمكن أن يؤثِّر به هذا ، فى مجرى الأحداث ؟

بدت خيبة الأمل على وجه المساعد ، وهو يقول :

- نعم .. ما الذى يمكن أن تؤثِّر به قطعة صغيرة كهذه ، فى مجرى الأحداث ؟

وخُيِّل إليه أن سؤاله هذا قد طفا إلى سطح الحجرة ، وظلَّ معلقًا هناك ، يتردَّد فى إلحاح عبر هوائها المتجدِّد بلا كلل ..

وبلا جواب ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة والنصف مساءً ، عندما أطلَّت المهندسة (نادرة) من نافذة منزلها ، ونادت ابنها المنهمك فى اللعب ، فى حديقة المنزل ، قائلة فى حزم :

- العاشرة والنصف يا (أحمد) .. انتهى وقت اللعب فى الخارج .

مطّ (أحمد) الصغير شفتيه فى غضب ، وهو يهتف معترضًا :

ـ ليس بعد يا أماه .. لم أنته من اللعب بعد ، ثم إنك سجنتنى فى المنزل لساعة أو يزيد ، عندما أشرقت تلك الشمس الزرقاء الصغيرة ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ الأمر غير خاضع للمناقشة .. قلت : إن الوقت قد حان لدخول المنزل ، وهذه كلمتى الأخيرة .. اجمع لعبك وعد لتتناول طعام العشاء .

لوّح بيديه الصغيرتين ، قائلاً :

ـ ولكنك وعدت بالسماح لى بالسهر ، فى فترة الإجازة .

قالت فى حزم :

ـ السهر له حدود ، حتى فى أيام الإجازات .. اجمع لعبك من الحديقة ، وعد إلى المنزل ، وسأسمح لك باللعب فى حجرتك لساعة أخرى ، بعد تناول طعام العشاء ، وقبل أن تأوى إلى فراشك .. هيّا .. إننى أنتظرك .

قالتها ، واختفت داخل المنزل ، فمطّ شفتيه مرة أخرى ، وهو يغمغم :

ـ هذا ليس عدلاً .

ثم نهض يجمع لعبه المتناثرة فى الحديقة ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الشىء الصغير ..

قطعة من الكريستال ، فى حجم قبضة اليد ، ذات مقطع منشورى ، أشبه بقطعة من الماس ، استقرّت وسط الأعشاب القصيرة فى الحديقة ..

وفى دهشة ، تطلّع (أحمد) الصغير إلى تلك القطعة ، ثم لم يلبث أن مال نحوها ، وراح يتفحّصها عن قرب ، مغمغمًا :

ـ من أين أتت هذه ؟!

دار حولها لحظات فى حيرة ، قبل أن يستجمع شجاعته ، ويتغلّب على تردّده ، ويمدّ يده ليلمسها فى حذر ، ولم يكد يفعل ، حتى أطلق شهقة مكتومة ، وهو يستعيد أصابعه فى سرعة ..

لقد كانت تلك القطعة باردة كالثلج ، ولم تكد تلمسها أصابعه ، حتى تألّق فى قلبها ضوء أزرق باهت ، جعل قلبه يخفق فى قوة وخوف ..

ولكن ما إن ابتعدت أصابعه عنها ، حتى خفت ذلك الضوء بسرعة ، ولم يلبث أن تلاشى فى لحظات ..

ومرة أخرى ، خفق قلب الصغير ، ولكن فى لهفة وفرح هذه المرة .

لقدِ عثر أخيرًا على لعبة خاصة ، لا يمتلك أقرانه شبيهًا لها ..

لعبة ستجعله يتميَّز على الجميع بلا منافس ..

وفى لهفة وحماس ونشاط ، اندفع (أحمد) إلى منزله ، فسألته أمه ، وهو يقتحمه فى سرعة :

- هل جمعت لعبك ؟

هزَّ رأسه فى انفعال ، وهو يجيب :

- ليس كلها .. أحتاج إلى صندوق لجمع بعضها .

أدهشها انفعاله ، وقالت فى حيرة :

- صندوق ؟!.. ولكنك لم تطلب هذا من قبل قط !!

مطَّ شفتيه فى غضب ، وهو يقول :

- ولكننى أحتاج إليه هذه المرة .

تنهَّدت فى ضجر ، قبلَ أن تقول :

- ومن أين آتى لك بصندوق الآن ؟

أشار بيديه ، قائلاً :

- لست أريد صندوقًا بالمعنى المفهوم .. فقط علبة بهذا الحجم .

انعقد حاجباها ، وهى تعتصر ذهنها ، قبل أن تقول متردِّدة :

- لدينا علبة بهذا الحجم بالفعل ، ولكن أعتقد أنها ستكون ثقيلة إلى حد ما ، فهى مغلَّفة من الداخل بطبقة من الرصاص(*) ؛ لأننى كنت أستخدمها فى ...

قاطعها فى لهفة :

- وأين هى ؟

تنهَّدت مرة أخرى ، قبل أن تنحنى لتلتقط علبة صغيرة ، من أحد أدراج المطبخ ، قائلة :

- ها هى ذى .. هيَّا .. اجمع لعبك بسرعة ، فقد أوشكت على الانتهاء من إعداد طعام العشاء ، وسيصل والدك بين لحظة وأخرى ، وأنت تعلم أنه يحب أن نتناول طعام العشاء معًا .

اختطف العلبة فى لهفة ، قائلاً :

- سأنتهى بسرعة .. هذا وعد .

كانت العلبة ثقيلة إلى حد ما بالفعل ، إلا أن لهفته جعلته لا ينتبه إلى هذا ، وهو يهرع إلى الحديقة ، وينحنى نحو الكتلة الكريستالية ، قائلاً فى سعادة :

(*) الرصاص : عنصر فلزى رخو ثقيل ، من أقدم المعادن التى استخدمها الإنسان ، قابل للطرق ، ولكن قابليته للسحب خفيفة ، يدخل فى إشابات عديدة ، ويستعمل فى تبطين المفاعلات الذرية ، لقدرته على امتصاص الإشعاعات .

١ م ٣ — ملف المستقبل — [illegible]

- سينفجر (هيثم) غيظًا عندما يراك ، فليس لديه شىء مثلك أبدًا .

أمال العلبة المبطّنة بالرصاص على جانبها ، ثم استخدم قطعة من لعبه ، ليدفع قطعة الكريستال داخلها ، قبل أن يغلق العلبة فى إحكام ، ويحملها ليعدو بها إلى حجرته ، وقلبه يخفق فى سعادة ، دون أن يدرى أن ذلك الشىء الذى يحمله ، ربما يكون فيه مصير العديدين ..

أو ربما مصير الكوكب ..

كوكب الأرض بأكمله .

* * *



٢ - حادث سير ..

تطلّعت الخبيرة البيولوجية (هناء حمّاد) إلى شاشة الكمبيوتر فى إرهاق ، فى الثالثة والنصف صباحًا ، وتمنّت لو أمكنها خلع تلك الخوذة الكبيرة ، لتفرك عينيها المجهدتين ، وهى تقول :

- لا يوجد أدنى أثر للحياة ، فى السطح الخارجى لذلك الجسم ، ولو أردتم رأيى ، فهو مجرّد نيزك بسيط ، أدت الحرارة الرهيبة ، الناشئة من احتكاكه بالغلاف الجوى ، فى أثناء سقوطه على الأرض ، إلى تعقيمه تمامًا ، ولن تجدوا فيه جرثومة واحدة حية(*) .

قال (نور) فى توتر حازم :

(*) الجراثيم : كائنات حية دقيقة ، من الطبقة السفلى من مملكتى الحيوان والنبات ، تسبّب أمراضًا نتيجة تطفّلها ، كالبكتريا والفيروسات والفطر السقمى ، فى مملكة النبات ، وكالحيوانات الأوّلية (البروتوزوا) فى مملكة الحيوان ، ويدخل تحت المسمّى أيضًا خلايا التناسل فى الحيوان (البويضة والحيوان المنوى) ، وكذلك بذور النباتات ، أوما تحمله من أجنة مثل جرثومة القمح .

- مستحيل يا (هناء) !.. مستحيل !.. صحيح أن هذا الجسم يبدو من الخارج أشبه بنيزك عادى ، إلا أنه هناك حتمًا شيء يتحكم فى حركته ، وإلا ما تغيّر مساره على هذا النحو المباغت .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وهو يقول مرهقا :

- ربما كانت هناك عوامل خارجية ، أدّت إلى هذا .

التفت إليه (نور) ، يسأله فى سرعة :

- مثل ماذا ؟!

ارتج على الدكتور (ناظم) ، وحاول أن يبحث عن جواب منطقى ، ثم لم يلبث أن عجز عن هذا ، فهزّ رأسه ، قائلاً :

- إننا لم ندرس الأمر بعد .

أشار (نور) إلى الجسم الراقد فى الفجوة الكبيرة ، والذى خبت نيرانه تمامًا ، وبدا بالفعل أشبه بنيزك خامل ، وقال فى حزم :

- وكذلك هذا الشيء .. لم تنته دراسته بعد .. كل ما فعلناه منذ وصولنا ، هو فحصنا لسطحه الخارجى ، وأنا أصرّ على أن هذا السطح مجرّد قشرة زائفة ، تخفى شيئا آخر نجهله .

قال الدكتور (ناظم) :

- ربما يا (نور) .. ربما .. أنت على حق .. إننا لم نبدأ فحصه بعد ، ولكن الفحص الداخلى يحتاج منا إلى نقله لمعاملنا ، حيث أجهزتنا وأدواتنا المتطوّرة ، ولا يمكننا الشروع فى نقله من هنا ، قبل أن نتيقّن تمامًا من أن عملية النقل هذه لن تتسبّب فى إصابته .

سأل (أكرم) فى ضجر واضح :

- وكيف يمكن التيقّن من هذا ؟

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- بوساطة الفحص الإشعاعى الفائق .. سنستخدم جهازًا متطوّرًا ، يعتمد على الارتداد الإشعاعى ، و ...

قاطعه (أكرم) متثائبًا :

- لا داعى يا دكتور (ناظم) .. لن يمكننى فهم هذه المصطلحات العلمية قط .

ارتفع حاجبا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يقول :

- صدقنى يا (أكرم) ، من العسير علىّ أن أستوعب هذا الأمر ، فكيف تعمل فى المخابرات العلمية ، ولديك هذا القصور الشديد فى المعلومات العلمية ؟

لوّح (أكرم) بمسدسه ، قائلاً :

- العمل لديكم يحتاج إلى هذا بالدرجة الأولى .

أشار إليه (نور) ، قائلًا فى حزم :

- خطأ يا (أكرم) .. خطأ .. مسدسك هو آخر ما يحتاج إليه العمل فى المخابرات العلمية .

قال (أكرم) فى حدَة :

- حقًا ؟!.. وما الذى حسم صراعنا مع الحرباء إذن(*) ؟ .. ومع (ليدر)(**) ، و ...

قاطعه الدكتور (ناظم) فى حسم :

- كفى .. لن ندخل فى مناظرة كهذه ، فى وقتنا هذا .. فلننس هذه الخلافات ، حتى ننتهى من الفحص الإشعاعى الفائق لذلك الجسم أولًا .

والتفت إلى رجاله ، قائلًا :

- هيا يا رجال .. دعونا نقم بهذا العمل ، قبل أن تشرق الشمس .

دفع الرجال جهاز الفحص الإشعاعى الفائق إلى الفجوة ، وصوبوا مسباره إلى الجسم الراقد داخلها ، وقال الدكتور (ناظم) ، وهو يتابع العمل فى اهتمام :

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١) .

(**) راجع قصة (الأرض المفقودة) .. المغامرة رقم (١٠٣) .

- ستبدأ الفحص بقطاعات عريضة ، فإذا ما وجدنا ما يثير الاهتمام ، يمكننا الانتقال إلى الخطوة التالية ، وفحص قطاعات وشرائح دقيقة .

التفَّ الجميع حول شاشة الجهاز فى اهتمام ، وأشار الدكتور (ناظم) ببدء العمل ، فأطلق المسبار بثه الإشعاعى ، وراحت الصور ترتسم على الشاشة ، و ...

واتسعت العيون كلها فى دهشة ..

وفى انفعال ، هتفت (هناء) :

- ربَّاه !.. كان (نور) على حق .. ذلك الشىء ليس مجوفًا فحسب ، ولكن هناك فجوة فى الجانب الذى لا نراه منه ، يبدو أنها كانت سبب سقوطه .

أشار الدكتور (ناظم) إلى الشاشة ، وهو يقول فى حماس :

- انظروا .. هناك أجهزة معقَّدة داخله .. هذه الخطوط لا يمكن أن تنشأ إلا من ...

بتر عبارته بغتة ، عندما تألقت بقعة كبيرة على الشاشة ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين سأل (أكرم) فى توتر :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى حيرة :

- يبدو أن أشعتنا أشعلت شيئًا ، أو ...

كانت البقعة تتألّق أكثر وأكثر على الشاشة ، فصاح (نور) فجأة ، مقاطعًا الدكتور (ناظم) :

- يا إلهى !.. تراجعوا .. تراجعوا جميعًا .

شهقت (هناء) مذعورة ، ولكنه دفعها بعيدًا ، صائحًا :

- قلت : تراجعوا .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، فجذبه (أكرم) فى قوة ، قائلاً :

- ألم تسمع ما قاله (نور) ؟

وفى نفس اللحظة ، التى جذبه فيها (أكرم) ، والتى اندفع فيها (نور) نحو رجال الأبحاث ، محاولاً دفعهم للتراجع ، وقبل حتى أن يبتعد الجميع عن الفجوة ، بلغ تألُّق تلك البقعة ذروته ، و ...

ودوى الانفجار ..

وكان انفجارًا عنيفًا ..

وأزرق اللون ..

* * *

هبَّ المهندس (وجدى) من فراشه فزعًا ، مع دوى الانفجار الثانى ، واتسعت عيناه فى خوف ، مع ذلك

الوهج الأزرق ، الذى عبر فرجات النافذة ، ورسم خطوطه على الجدار المقابل ، فى مشهد رهيب مخيف ، جعل زوجته المهندسة (نادرة) ترتجف ، وهى تهتف مذعورة :

- ماذا حدث يا (وجدى) ؟

ربَّت عليها بأصابع مرتجفة ، فى محاولة لمنحها طمأنينة يفتقدها ، قبل أن ينهض إلى النافذة ، ويدفع حاجزها قليلاً ، متطلعًا إلى الضوء الأزرق البعيد ، مغمغمًا :

- ربما سقط نيزك آخر .

ارتجفت ، قائلة :

- وهل سيستمر سقوط النيازك طويلاً ؟!

هزّ رأسه ، وهو يتنهّد ، قائلاً :

- من يدرى ؟

خفق قلبها فى قوة بضع لحظات ، قبل أن تضرب صدرها براحتها ، هاتفة :

- (أحمد) .

قالتها ، وقفزت من فراشها ، وجرت مذعورة إلى حجرة ابنها ، ودفعت بابها فى قوة ، ثم ارتفع حاجباها فى دهشة ، مكرِّرة :

- (أحمد) ؟!

كان الصغير ملتصقًا بالنافذة في شغف واضح ، متطلعًا في فضول إلى ذلك الوهج الأزرق في الأفق ، فسألته أمه في قلق :

- هل أخافك هذا ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول في هدوء :

- الضوء الأزرق جميل للغاية .

قالت في دهشة :

- جميل ؟!.

ثم هزَّت رأسها بلا مبرِّر ، مستطردة :

- حسن يا (أحمد) .. لقد انتهى الأمر على هذا النحو .. عد إلى نومك .. هيَّا .

أومأ برأسه إيجابًا في طاعة ، قائلاً :

- كما تقولين يا أمي .

منحته ابتسامة كبيرة ، وهي تضع الغطاء على صدره ، ثم طبعت قبلة على خده ، قائلة :

- ليلة سعيدة يا صغيري .

ابتسم بدوره ، وهو يتابعها ببصره ، حتى أغلقت باب الحجرة خلفها ، فقفز من فراشه ، وانحنى يجذب العلبة من أسفله ، وفتحها في حذر ، وهو يهمس :

- ذلك الضوء الأزرق في الأفق يشبهك .. أليس كذلك ؟

خُيِّل إليه في تلك اللحظة ، أن قطعة الكريستال الراقدة في قاع العلبة ، قد فهمت كل ما قاله ، فقد راح الضوء الأزرق في قلبها يتألَّق ويخبو على نحو منتظم ، كما لو أنها تنبض ..

وتنبض ..

وتنبض ..

* * *

انتفض قلب (مشيرة) في عنف ، مع دوي الانفجار الثاني ، وتعلق بصرها بالأفق الأزرق لحظات ، قبل أن تهتف في ارتياع :

- ربَّاه !.. (أكرم) هناك .. سيتوقَّف قلبي يومًا ، من شدة خوفي عليه ..

لم تكن قد غادرت مبنى (أنباء الفيديو) بعد ، منذ سقوط كتلة اللهب ، في محاولة لجمع أية أخبار ممكنة حول ما حدث ، وراحت تلقى بأوامرها لطاقم الطوارئ التابع للجريدة ، واستعدَّت مع فريق خاص للذهاب إلى الأطلال القديمة ، عندما وقع الانفجار الثاني ، الذي أطار صوابها ، وأصابها بالذعر ، وجعل رئيس فريق الطوارئ يقول متوترًا :

ـ أعتقد أنه ليس من المناسب أن نذهب إلى هناك الآن .

التفتت إليه فى حركة حادة ، قائلة فى صرامة :

ـ خطأ .. من المناسب جدًا أن نهرع إلى هناك الآن ، فالصحفى الناجح يسعى إلى الخبر ، كلما زادت أهميته وخطورته ، ونصف سكان (القاهرة) الآن يمتلئون بالفضول واللهفة ؛ لمعرفة سر ما أقلق نومهم ، فى هذه الليلة ، ولو لم نسع نحن لمنحهم ما يريدون ، فسيبحثون عنه فى المحطات المنافسة .

سألها فى اهتمام :

ـ هل نذهب إذن ؟

أجابته فى حزم :

ـ وفورًا .

قالتها وأسرعت تغادر المبنى ، مع أفراد الطوارئ ، الذين استقلوا سيارتهم المجهزة ، فى حين استقلت هى سيارتها الخاصة ، بصحبة رئيسهم ، وانطلقت بها مسرعة ، وهى تغمغم :

ـ رباه !.. أبقه على قيد الحياة .. أتوسل إليك .

سألها رئيس الفريق فى دهشة :

ـ ماذا تقولين ؟

انعقد حاجباها ، وضغطت دواسة الوقود فى توتر ، مجيبة فى عصبية :

ـ لا شىء .. كنت أحدث نفسى فحسب .

تطلع إلى الطريق لحظة ، قبل أن يقول فى قلق :

ـ اخفضى سرعة السيارة إذن ، فأنت تتجاوزين الحدود القانونية للسرعة ، والقانون لا يتهاون أبدًا ، فى مثل هذه الأمور .

أجابته فى حدة :

ـ إنها الرابعة إلا الربع صباحًا ، والشوارع خالية كما ترى ، و ...

قالتها ، وهى تنحرف بالسيارة ، إلى الشارع التذكارى ، الذى يقود مباشرة إلى الأطلال القديمة ، فقاطعها رئيس الفريق ، وهو يصرخ :

ـ احترسى ..

ومع صرخته ، لمحت (مشيرة) ذلك الرجل ، الذى يعبر الشارع فى خطوات هادئة رتيبة ، ويعترض طريق سيارتها ، فقفزت قدمها تضغط فرامل السيارة فى قوة ، وحاولت السيطرة على عجلة القيادة ، إلا أن السيارة دارت حول نفسها فى عنف ، وأطلقت إطاراتها صريرًا مخيفًا ، جعل الرجل يلتفت نحوها ..

ومع التفاتته ، شهقت (مشيرة) فى عنف ..

لقد كانت ملامحه باردة جامدة ، ونظراته خاوية جافة ، كما لو أنه تمثال بلا مشاعر ..

تمثال من ثلج ..

كل هذا استوعبته (مشيرة) مع النظرة الأولى ، التى لم تجد الوقت لإلقاء سواها ، قبل أن تنزلق السيارة ، وترتطم بالرجل ..

كان الارتطام ضعيفًا إلى حد ما ، ولكن الرجل سقط معه دفعة واحدة ، على نحو جعل رئيس الفريق يقفز من السيارة ، هاتفًا :

ـ ربَّاه !.. هذا ما كنت أخشاه !

خفق قلب (مشيرة) فى عنف ، ورئيس الفريق ينحنى ليفحص الرجل ، ويلصق أذنه بصدره ، وجفَّ لعابها ، وهى تسأله فى صوت متحشرج مضطرب :

ـ ما .. ماذا أصابه ؟

رفع الرجل عينيه إليها ، وهو يجيب فى شحوب :

ـ لقد مات .

اتسعت عينا (مشيرة) فى ارتياع ، وارتجف جسدها كله ، وهى تسترجع نصوص القانون ، الخاصة بمقتل مواطن ، إثر حادث سير ، ثم لم تلبث أن أطلقت صرخة مكتومة ، وهوت ..

هوت فاقدة الوعى ..

* * *

انطلقت مع الانفجار الثانى ، موجة تضاغط قوية ، انتزعت (أكرم) من مكانه انتزاعًا ، وطارت به فى الهواء عدة أمتار ، قبل أن يسقط فوق أحد الجدران المتهدِّمة للأطلال ، ويتدحرج فوق الأحجار إلى الأرض ، وحوله مئات القطع المشتعلة بنيران زرقاء باهتة ..

وتأوَّه (أكرم) فى ألم ، قبل أن يعتدل ، هاتفًا :

ـ آه من كل هذا الألم .. وماذا لو لم نكن نرتدى هذه الثياب الواقية ؟!

لم يكد ينطق عبارته ، حتى وقع بصره على المشهد الذى خلفه الانفجار ، فاستطرد فى توتر شديد :

ـ ربَّاه !.. الأمر لم يكن هينًا إذن .

كان (نور) ملقى على وجهه ، وسط كومة من الصخور ، وعلى بعد أمتار قليلة منه سقطت (هناء) ، وإلى جوارها الدكتور (ناظم) ، الذى تحطَّمت خوذته ، وسالت الدماء من جبهته على وجهه ، وعلى مسافة مترين ، تناثرت أجساد رجال البحث العلمى ، وحولها قطع مشتعلة بتلك النيران الزرقاء ..

واندفع (أكرم) فى البداية نحو (نور) ، وانحنى يفحصه فى اهتمام متوتر ، وهو يهتف :

ـ أحضروا سيارة إسعاف .. أسرعوا بالله عليكم .

كان (نور) و (هناء) فاقدى الوعى فحسب ، أما الدكتور (ناظم) ، فكانت هناك إصابة واضحة فى جبهته ، تمتم لها (أكرم) فى انزعاج :

ـ يا للمسكين !.. لقد تزايدت إصاباته كثيرًا ، فى الآونة الأخيرة .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى لمح عددًا من جنود الصاعقة ، المكلفين حراسة المكان ، وهم يهرعون إلى الموقع ، وسمع ضابطهم يهتف منزعجًا :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه (أكرم) متوترًا :

ـ لقد انفجر ذلك الشىء .. أسرعوا باستدعاء سيارة إسعاف .. الجميع مصابون بشدة .

خُيِّل إليه أن الضابط لم يسمع ما قاله ، فهتف به محنقًا :

ـ أسرع بالله عليك .. هؤلاء الرجال ...

وبتر عبارته دفعة واحدة ، عندما انتبه إلى نظرة الذعر والذهول ، التى تملأ عيون الجميع ، وهم يحدقون فى الفجوة ، فاستدار إليها بدوره ، وانتفض جسده انتفاضة عنيفة ..



انتزعت (أكرم) من مكانه انتزاعًا ، وطارت به فى الهواء عدة أمتار ..

فهناك ، ومن قلب الفجوة تمامًا ، كان ينبعث عمود من الضوء الأزرق ، إلى عنان السماء ، وفى قلبه تسبح فقاعات بيضاء مختلفة الأحجام ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلت هذه الفقاعات ترتفع إلى أعلى ، وتذوب وسط الحزمة الضوئية الكبيرة ، التى بدت وكأنها تنطلق فى الفضاء والظلام إلى ما لا نهاية ..

وطوال تلك الفترة ، خيم على المكان هدوء مخيف ..

هدوء لم يقطعه حرف واحد ، ، من الواقفين جميعًا ، حتى انقطع الضوء بغتة ..

ومع انقطاعه ، ندت من أحد الجنود شهقة عنيفة ، انتفض لها جسد (أكرم) مرة ثانية ، وانقطع معها حبل الصمت الذى أحاط به ، فهتف ، وهو يندفع إلى الفجوة :

يا إلهى ! .. ما هذا بالضبط ؟

وعندما بلغ الفجوة ، عادت إليه دهشته على نحو أكثر عنفًا ..

فهناك ، فى قلب الفجوة ، لم يكن هناك أثر لذلك الجسم المجهول ..

لم يكن هناك أدنى أثر .

* * *

٤ - يد القانون ..

« يا لها من ليلة !.. »

تمتم رئيس فريق الطوارئ ، فى جريدة (أنباء الفيديو) ؛ بهذه العبارة فى توتر شديد ، وهو يقف إلى جوار (مشيرة) ، فى قسم الحوادث بالمستشفى المركزى ، فى قلب (القاهرة) الجديدة ، فى حين انخرطت هذه الأخيرة فى بكاء حار ، وهى تقول لضابط التحقيقات :

- لم أكن أقصد هذا أبدًا .. كانت الشوارع خالية ، ولكنه برز فجأة ، ولم أستطع منع اصطدامى به .

مطّ ضابط التحقيقات شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

- هذا لا يعفيك من المسئولية يا سيدتى ، فتجاوز الحد القانونى للسرعة يعرّضك للمساءلة ، حتى فى ساعات الليل ، ومع الشوارع الخالية .

بكت أكثر ، وهى تقول :

- ولكننى لم أصدمه بالفعل .. أعنى أن الصدمة كانت أقل من أن ...

قاطعها ضابط التحقيقات فى صرامة :

- الأطباء هم الذين سيحسمون هذا الأمر .

برز رئيس فريق الأطباء ، فى هذه اللحظة ، من حجرة الطوارئ ، فالتفت إليه الضابط ، يسأله فى اهتمام :

- ما نتائج الفحص ؟

هزّ الطبيب رأسه فى أسى ، قائلا :

- لم يمكننا إنقاذه .. لم يستجب لمحاولاتنا قط .. إنه ميت منذ حضوره إلى هنا .. درجة حرارته منخفضة للغاية ، ولم تسجّل أجهزتنا أية نبضات قلبية ، أو إشارات مخية ، ومعدّل التنفس صفر .. ثم إننا لم ننجح فى العثور على أية أوردة للحقن .. كان المفترض أن تحضروا الرجل خلال الساعات الأولى من سقوطه ، و ...

قاطعه رئيس فريق المصورين فى دهشة :

- الساعات الأولى ؟!.. ولكننا أحضرناه فور إصابته .

انعقد حاجبا الطبيب ، وعدّل وضع منظاره الطبى فوق عينيه ، قائلا :

- مستحيل يا سيِّدى .. مستحيل !.. لا يمكن أن تنخفض حرارة الجسم البشرى بهذه السرعة ، فى يوم حار كهذا .

قالت (مشيرة) فى حدة :

- ولكننا أحضرناه على الفور بالفعل .

هزّ الطبيب رأسه فى إصرار ، قائلا :

- مستحيل !.. هذا رأى طبى ، غير قابل للجدل يا سيِّدتى .

انعقد حاجبا ضابط التحقيقات ، وهو يقول فى صرامة :

- وهذا الرأى يضع فارقًا جوهريًا فى القضية ، فالاصطدام بشخص ما ، بسبب سرعة السير ، يعتبر جريمة تقليدية ، أما إخفاء الجثة لعدة ساعات ، فهو ...

قاطعته (مشيرة) فى عصبية :

- أى إخفاء ؟!.. قلت لك : إننا أحضرنا الرجل إلى هنا ، فور اصطدامنا به !

ثم انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تضيف :

- وأنا أطالب برأى متخصِّص ، لحسم هذا الأمر .

بدا الضيق على وجه الطبيب ، وهو يقول فى حدة :

- ماذا تقصدين برأى متخصِّص يا سيِّدتى ؟

التفتت إليه ، قائلة فى صرامة :

- أقصد رأى طبيب شرعى نزيه .. شخص مثل ...

قاطعها صوت حازم ، يقول :

ـ مثل الدكتور (محمد حجازى) .

التفتت إلى مصدر الصوت ، وهتفت فى ارتياح ولهفة :

ـ (أكرم) .. حمدًا لله .

واندفعت تلقى نفسها بين ذراعيه ، وانفجرت باكية ، وهى تضيف :

ـ كنت فى أشد الحاجة إليك .. كيف عرفت أننى هنا ؟

ربت عليها فى حنان ، قائلاً :

ـ بالمصادفة البحتة .. لقد أصيب جميع من فى الموقع فيما عداى ، وحضرت إلى هنا بصحبتهم ، للاطمئنان عليهم ، وفوجئت بما حدث معك .

بكت على صدره فى حرارة ، وهى تقول :

ـ لست أدرى كيف حدث هذا .. لست أدرى .

عاد يربت عليها فى حنان ، وهو يهمس :

ـ فلنترك الأمر لله (سبحانه وتعالى) يا عزيزتى .

ثم رفع رأسه إلى ضابط التحقيقات ، مستطردًا فى حزم :

ـ إننا نطالب بفحص القتيل ، بوساطة الطب الشرعى .

قال الضابط فى هدوء :

ـ هذا حقك .. سأطلب استدعاء الدكتور (محمد حجازى) ، لإعادة فحص الجثة ، وتحديد سبب الوفاة .

ثم أشار إلى (مشيرة) ، مضيفًا فى حزم :

ـ ولكن هذا لن يعفيك من عقوبة تجاوز الحد القانونى للسرعة يا سيدتى .

عادت تبكى على صدر زوجها ، والضابط يملى مساعده :

ـ يتم الإفراج عنها بضمان وظيفتها ، لحين ورود التقرير النهائى للطب الشرعى .

قاد (أكرم) زوجته بعيدًا ، وهو يهمس فى أذنها :

ـ اطمئنى يا عزيزتى .. سيسير كل شىء على ما يرام بإذن الله .

أفرغت ما تبقى من دموعها فى سرعة ، قبل أن تسأله فى فضول :

ـ ماذا حدث فى الموقع ؟

أجابها شاردًا :

ـ ذلك الشىء انفجر بغتة ، عندما بدءوا فحصه بالأشعة .. لقد استثاروا شيئًا ما فى داخله ، و ...

انتبه فجأة إلى خطأ منحها المعلومات على هذا النحو ، فبتر عبارته دفعة واحدة ، وابتسم قائلاً فى هدوء :

- وأعتقد أن هذا أكثر مما يمكن الإفصاح به .

انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تهتف :

- لا يمكنك أن تخفى عنى أمرًا كهذا .

أتاهما صوت صارم ، يقول :

- بل من الضرورى أن يفعل .

التفتت إلى صاحب الصوت فى دهشة واستنكار ، فى حين تهلّلت أسارير (أكرم) ، وهو يهتف :

- (نور) يا صديقى .. حمدًا للّه على سلامتك .

قال (نور) فى هدوء :

- أشكرك يا (أكرم) .. لقد كان الانفجار عنيفًا بالفعل ، ولكن هذه الأزياء الواقية خفّفت من الصدمة كثيرًا .. لقد استعدت وعيى بسرعة ، وكذلك (هناء) ، ومعظم أفراد الفريق الطبى .. الدكتور (ناظم) وحده سيحتاج علاجه إلى فترة ما .

قالت (مشيرة) فى حدة :

- لا تغيِّر الحديث يا (نور) .. لابد أن أعرف ماذا حدث هناك ؟

أجابها (نور) فى صرامة :

- لم يتمّ التصريح بالنشر بعد .

قالت فى حدة :

- ولكننى أعرف الكثير بالفعل .. أعرف أنه ليس نيزكًا عاديًا ، وأن الفحص الإشعاعى استثار شيئًا ما داخله ، و ...

قاطعها (نور) فى حزم :

- هل تعرفين ما الذى يمكن أن يسبّبه نشر هذه المعلومات المنقوصة ؟!

قالت فى عصبية :

- أعرف أنه يمكن أن يثير نوبة ذعر لا حدود لها ، ولهذا أبحث عن الحقائق الكاملة .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

- فليكن .. انتظرى حتى تكتمل المعلومات والحقائق ، وستحصلين على كل شىء .

سألته فى لهفة :

- أهذا وعد ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، قبل أن يمسك ذراع (أكرم) ، قائلًا :

- والآن ، اسمحى لى باستعارة زوجك ، فلابد لنا من العودة إلى موقع الانفجار .

هتفت فى هلع :

- ثانية ؟!

أجابها فى حزم ، وهو يجذب (أكرم) :
- بالتأكيد .. الواجب ينادينا هناك .
ابتسم (أكرم) ، وهو يسير إلى جواره فى سرعة ، قائلاً :
- أراهن على أن أسلوبك هذا يصيبها بالجنون يا (نور) .
قال (نور) فى اهتمام واضح :
- دعك من هذا الآن .. لقد أجريت بعض الاتصالات ، فور استعادتى الوعى ، ويبدو أن الأمر أضخم مما كنا نتصوَّر ، وأكثر خطورة .. لقد عجز الراصد عن رؤية ذلك الجسم ، وهو يقترب من الأرض ، مما يعنى أنه يمتلك وسيلة تكنولوجية لإخفاء نفسه ، ولولا إصابته من قبل القمر الدفاعى الجديد ، لما انكشف أمره .
سأله (أكرم) :
- وما الذى يمكن أن يشير إليه هذا ؟
أجابه (نور) فى حزم :
- أبسط ما يمكن أن يشير إليه ، هو أن ذلك الشىء ليس نيزكًا ، وإنما آلة متقدِّمة ، تقودها كائنات عاقلة ، من كوكب آخر .
قال (أكرم) فى دهشة :
- ولكن حجمه لا يوحى بأن ...

قاطعه (نور) :
- ليس من الضرورى أن تكون الكائنات العاقلة كبيرة الحجم .
أومأ (أكرم) برأسه متفهمًا ، قبل أن يقول فى اهتمام :
- هناك أمر آخر ، سيثير اهتمامك حتمًا :
وراح يروى له ما حدث عند الفجوة ، بعد الانفجار مباشرة ، فتنهَّد (نور) ، وقال فى قلق واضح :
- هذا يثبت أننى كنت على حق يا (أكرم) .. لابد أن نعود إلى موقع سقوط ذلك الشىء ، فخبرتى تشير إلى أن الأحداث لم تنته بذلك الانفجار الثانى ، ومازالت هناك أحداث لم تفصح عن نفسها بعد .
وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :
- أحداث يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده مدى أهميتها .
وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :
- وخطورتها ..

* * *

أشار ضابط فريق الصاعقة بيده فى حزم ، وهو يتحدَّث إلى رجاله ، الذين انتشروا حول موقع الانفجار ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ تذكّروا أن التعليمات صارمة للغاية ، وتمنع اقتراب أى شخص فى المنطقة ، بدون تصريح أمنى خاص ، من الفئة (أ) ، وأى محاولة للاقتحام بالقوة ، ستقابل بمنتهى الشدة .

لم يكد يتمّ النداء ، حتى اندفع نحوه أحد رجاله ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، قبل أن يقول :

ـ هناك رجل يقترب من المكان يا سيّدى .

استدار الضابط يتطلّع إلى الرجل ، الذى بدا ممشوق القوام ، قوى البنيان ، يتقدّم نحو الحاجز الإليكترونى فى خطوات بطيئة حاسمة ، وملامحه جامدة باردة على نحو عجيب ، جعله أشبه بتمثال من الثلج ، يمشى على قدمين ..

ولوهلة ، شعر الضابط بشىء من التوتر ، وهو يتطلّع إلى ذلك الوجه الثلجى ..

وجه صارم مخيف ، بلا أية انفعالات علىٰ الإطلاق ..

ثم نفض الضابط هذا الشعور عن نفسه فى سرعة ، شأن أى محترف ، وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول فى صرامة :

ـ محظور الاقتراب من هنا أيها السيّد .. إنها منطقة عسكرية مؤقّتة ، طبقًا للقانون رقم ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق أكثر فى ذلك الوجه الجامد ، والرجل يواصل اقترابه بنفس الرتابة ، على نحو مثير للاستفزاز ..

وعلى الرغم منه ، سرت قشعريرة باردة كالثلج فى جسد الضابط ، الذى تراجع خطوتين مبتعدًا عن الحاجز ، ورفع يده ، قائلًا :

ـ هذا تحذير أخير .

ومع إشارته ، رفع رجاله مدافعهم الليزرية ، وصوّبوها إلى الرجل ، الذى استمرّ فى تقدّمه نحو الحاجز ، وملامحه تبدو أشبه بتمثال من الثلج ، والضابط يهتف :

ـ سنطلق الأشعة فورًا ، لو لمست الحاجز .

توقّف الرجل على قيد سنتيمترات من الحاجز الإليكترونى ، فتنفّس الضابط الصعداء ، وهو يغمغم :

ـ هذا أفضل .

لم يكد ينطقها ، حتى هتف أحد رجاله بلهجة متوتّرة :

ـ ربّاه !.. انظر يا سيّدى .

استدار الضابط فى سرعة ، إلى حيث يشير الرجل ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يتراجع بحركة حادة ..

فأمام عينيه مباشرة ، كان هناك رجل آخر ، يتقدّم نحو الجانب الأيمن للمنطقة ..

رجل له نفس الملامح الجامدة الباردة ، والوجه الثلجى المخيف ..

نفس الملامح بالضبط ، كما لو كان نسخة طبق الأصل من الرجل الأوّل ..

وفى توتر شديد ، تراجع الضابط ، هاتفًا :

ـ استعدوا لإطلاق النار .

لم يكد هتافه ينتهى ، حتى تحرّك الرجل الأوّل بغتة ، وهوى بقبضته على الحاجز الإليكترونى ..

فى الظروف العادية ، لا يمكن لرجل ، مهما بلغت قوته ، أن يصيب الحاجز الإليكترونى القوى بسوء ..

بل إن تيارًا كهربيًا قويًا سيصعقه ، فور سقوط قبضته عليه ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد هوى رجل الثلج هذا على الحاجز ، فانطلقت منه شرارات كهربية قوية ، ثم هوى محطّمًا ، وكأنما أصابته ألف مطرقة من الصلب ..

واتسعت عينا الضابط ، وهو يقفز إلى الخلف ، وفوهة مدفعه الليزرى ترتفع فى ذلك الوجه الثلجى ، ويهتف :

ـ أطلقوا النار .

كان هتافه هذا هو اللمسة الأخيرة ،التى يحتاج إليها رجاله ، لتنطلق أشعتهم القاتلة بلا هوادة ..

وانطلقت خيوط الأشعة نحو الرجلين ، وأصابتهما فى مواضع شتى ..

إلا أنها لم توقفهما ..

لقد واصلا تقدّمهما وسط الأطلال ، وكأنهما لا يشعران حتى بما حولهما ..

واتسعت عيون جنود الصاعقة فى ذهول ، قبل أن يهتف ضابطهم :

ـ إنهما يرتديان دروعًا واقية .. صوّبوا إلى الرءوس .

انطلقت خيوط الأشعة مرة أخرى ، واخترقت رأسى الرجلين ، اللذين توقّفا عن المضى قدمًا ، واستدارا يواجهان الرجال فى بطء مثير للقلق ..

ثم انطلقت حزم الليزر من الأعين الباردة ..

وأصابت أهدافها ..

ومرة أخرى اتسعت عيون جنود الصاعقة فى ذهول ..

وفى ذعر ..

لم تكن لأشعة مدافعهم الليزرية تأثيرات تذكر على الرجلين ، فى حين كانت الأشعة المنطلقة من عيون الرجلين ذات قوة تدميرية عنيفة ..

ودوت الانفجارات مرة أخرى فى المكان ..

ومع كل انفجار ، كان أحد رجال الصاعقة يسقط صريعًا ، حتى أن ضابطهم أشار بيده ، هاتفًا :

ـ تراجعوا .. أوقفوا إطلاق النار .. تراجعوا .

أسرع الرجال يحتمون بالأطلال ، فتوقّف الرجلان الثلجيان عن إطلاق أشعتهما ، وعادا يواصلان سيرهما نحو الفجوة ، فى حين التقط الضابط جهاز الاتصال ، وهو يقول لاهثًا فى انفعال :

ـ إننا نواجه اقتحامًا يفوق قدرتنا .. نريد تعزيزات وإمدادات بأقصى سرعة .

أما الرجلان ، فقد بلغا الفجوة ، وتوقّفا هناك لحظة ، أدارا خلالها عيونهما الإليكترونية فى المكان ، ثم راحا يفحصان كل شظية من شظايا الحطام فى سرعة واهتمام كبيرين ..

وبينما انهمكا فى هذا ، بلغ (نور) و (أكرم) المكان ، وهتف (نور) ، وهو يقفز من السيارة :

ـ ماذا حدث ؟.. هل اندلعت الحرب ؟

أجابه الضابط متوترًا :

ـ الحرب أهون مما حدث يا سيِّدى .. لقد اقتحم المكان رجلان ، لهما قوة (سوبرمان)(*) ، ولم نستطع إيقافهما ، وهما يتجهان الآن نحو الفجوة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يلتفت إلى حيث الفجوة ، قائلًا :

ـ رجلان ؟!

قفز (أكرم) من مقعده إلى مقعد القيادة ، واستل مسدسه ، ولوَّح به فى جذل ، وهو يهتف :

ـ هيا يا (نور) .. حانت لحظة إثبات الوجود .

ولم يكد (نور) يثب داخل السيارة ، حتى انطلق بها (أكرم) مقتحمًا الأطلال ، و (نور) يقول فى توتر :

ـ لا داعى للتهوُّر ، ولا تنس أن فرقة كاملة من الصاعقة ، لم تنجح فى إيقافهما .

أطلق (أكرم) ضحكة عالية ، وقال :

(*) سوبر مان : شخصية خيالية ، ابتكرها (جو شاستر) و (جيرى سيجال) ، إبان الأزمة الاقتصادية الأمريكية فى الثلاثينات ، وهى لشخص جاء من كوكب آخر (كريبتون) ، واكتسب قوة خارقة على الأرض ، استخدمها لتحقيق العدالة ، متخفيًا فى شخصية صحفى مسالم ، يحمل اسم (كلارك كنت) .

ـ وهل تجرؤ على مقارنتنا بفرقة واحدة من الصاعقة ؟!.. هذا ليس عدلاً يا صديقى ؟!

كان وكأنه يشعر بالسعادة ، لأنه سيواجه قاتلين ، حتى أن (نور) رمقه بنظرة دهشة ، قبل أن يقول فى غضب :

ـ (أكرم) .. أنا أحذّرك ..

قاطعه (أكرم) بسرعة :

ـ لا طائل من هذا يا (نور) .

ثم أشار أمامه ، مستطردًا :

ـ إننا نواجههما بالفعل .

التفت (نور) فى سرعة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على الرجلين ، اللذين توقّفا عن البحث ، واستدارا يواجهان السيارة القادمة بوجهيهما الصارمين الباردين ، الشبيهين بوجهين من الثلج ..

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، اتخذ الرجلان قرارهما ، والسيارة تندفع نحوهما بسرعة ..

وفى نفس هذه اللحظة ، هتف (أكرم) :

ـ والآن ، هل نطلق النار ، أم نترك لهما زمام المبادرة ياذا القلب الرقيق والإحساس المرهف ؟

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يحدّق فى عيون

الرجلين ، التى تألّقت بشدة ، ثم هتف فى انفعال :

ـ احترس يا (أكرم) .

ومع هتافه ، انبعثت الأشعة القاتلة من العيون الثلجية ، وهوت على السيارة ، و ...

ودوى الانفجار الثالث لهذه الليلة .

* * *



٥ـ وجوه من ثلج ..

خفق قلب (مشيرة) فى عنف ، مع دوى الانفجار الثالث ، ووضعت يدها على صدرها ، وهى ترتجف ، مغمغمة :

ـ ربَّاه !.. متى تنتهى هذه الانفجارات ؟

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى وقع بصرها على الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، وهو يدلف إلى المكان ، بصحبة طبيب الطوارئ ، فاندفعت نحوه ، هاتفة :

ـ دكتور (حجازى) .. حمدًا لله على أنك وصلت الآن .. إننى أحتاج إليك .

انعقد حاجبا طبيب الطوارئ فى توتر ملحوظ ، فى حين صافح الدكتور (حجازى) (مشيرة) فى تحفُّظ ، وهو يقول :

ـ أهلاً يا (مشيرة) .. أنا رهن إشارتك دائمًا يا بنيتى ، ولكن ليس فى هذه المرة .

تراجعت محدِّقة فى وجهه بدهشة ، وهى تكرِّر قوله فى استنكار :

ـ ليس فى هذه المرة ؟!

عدَّل وضع منظاره الطبى على أنفه ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ بالتأكيد ، فلست هنا كصديق شخصى لك ، وإنما كطبيب شرعى ، تم استدعاؤه رسميًا ، لفحص جثة شخص ، أنت متهمة بقتله ، وواجبى يحتِّم علىَّ فى هذه الحالة أن ...

قاطعته فى عصبية :

ـ ومن طالبك بالتخلِّى عن واجبك يا دكتور (حجازى) ؟! لقد أسعدنى حضورك لأننى أنشد العدالة فحسب .. أعترف بأننى تجاوزت حدود السرعة ، وأننى صدمت ذلك الرجل ، ولكن الصدمة أصابت ساقه فحسب ، وكانت أضعف من أن تقتله .. أنا واثقة من أنه مات لسبب آخر .

ربَّت على كتفها فى رقة ، مغمغمًا بابتسامة حنون :

ـ سنرى يا (مشيرة) .. سنرى يا بنيتى .

وعاد يربِّت على كتفها ، قبل أن يتجه مع طبيب الطوارئ إلى حجرة الفحص ، وهذا الأخير يقول فى حدة :

ـ لست أحب أرباب الفن هؤلاء .. إنهم يتصورون

أنّ شهرتهم تكفى لمنحهم حصانة خاصة ، فيصدمون ويقتلون من يحلو لهم ، ثم نفرج عنهم دون مساءلة ، لمجرّد أننا نألف وجوههم على الشاشة .

استمع إليه الدكتور (حجازى) فى صمت ، ثم قال فى هدوء :

ـ الطب لم يقل كلمته بعد يا رجل ، وربما لم تقتله هى بالفعل .

لوّح طبيب الطوارئ بيده ، قائلاً :

ـ كيف ؟!.. لقد تجاوزت حدود السرعة ، ثم ارتطمت به وسط الطريق ، فسقط جثة هامدة .. كيف تفسّر موته إذن ؟

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وهو يقول :

ـ فى مهنتى لا يحق لنا وضع التفسيرات ، قبل إجراء فحوصات تامة شاملة . .

مطّ الطبيب شفتيه ، وهو يدفع باب حجرة الفحص ، قائلاً :

ـ سترى أننى على حق .

دلف الدكتور (حجازى) إلى الحجرة ، وبعده الطبيب ، الذى اتجه إلى ثلاجة الجثث الكبيرة ، فى مواجهة الباب ، وضغط أزرار الجهاز الصغير إلى جوارها ، مستطردًا :

ـ لقد أجريت الفحص الأوّلى للجثة ، فور وصولها إلى هنا ، ولم أجد أيّة كدمات أو سحجات ، وربما أصيب المسكين بنزيف داخلى .

تحرّك أحد الأدراج فى بطء ، واندفع إلى الأمام ، كاشفًا جثة الرجل ، الذى يرقد ساكنًا باردًا ، ثمّ تحرّكت رافعة خاصة ، فحملت الجثة الباردة إلى منضدة الكشف ، ووضعتها مستقرة هناك ، فى حين انهمك الدكتور (حجازى) فى ارتداء زى الفحص المطاطى ، وهو يقول :

ـ النزيف الداخلى لا يقتل بهذه السرعة .

سأله الطبيب ، وهو يرتدى زى الفحص بدوره :

ـ ما الذى يمكن أن يسبّب وفاة سريعة ، دون كدمة واحدة ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لا يمكن الجزم قبل الفحص .

اتجه الاثنان إلى الجثة ، وضغط الدكتور (حجازى) زر جهاز التسجيل ، وهو يقول :

ـ الجثة لذكر فى حوالى الأربعين من عمره ، أصلع الرأس ، عريض المنكبين ، قوى البنية ، من العسير تحديد جنسيته من ملامحه الخارجية ، والكشف

الظاهرى لا يحدد سبب الوفاة ، فلا توجد كدمات واضحة ، أو سحجات ضاغطة ، أو أية علامات لنزيف خارجى ، أو ...

بتر عبارته ، وهو يتطلع إلى الجثة فى اهتمام ، ثم تمتم :

- عجبًا !

سأله طبيب الطوارئ فى اهتمام :

- ماذا هناك بالضبط ؟

تنهد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- تقريرك يشير إلى أن الوفاة قد حدثت منذ فترة طويلة ، وعلى الرغم من هذا ، لست أجد أية آثار للزرقة الرمية ، التى يفترض ظهورها فى الأجزاء السفلية من الجثة ، نتيجة لترسب الدماء فى العروق ، بتأثير الجاذبية الأرضية ، بعد توقف نشاط الدورة الدموية(*) .

انعقد حاجبا الطبيب ، وهو ينحنى ليفحص الأجزاء المنخفضة من الجثة ، قبل أن يقول فى مزيج من الدهشة والحيرة .

(*) حقيقة علمية .

- هذا صحيح .. لا يوجد أدنى أثر للزرقة الرمية .

ثم استدار يلتقط المنشار الكهربى الصغير ، مستطردًا :

- ربما وجدنا تفسيرًا لهذا ، عندما نشق القفص الصدرى ، ونفحص القلب والرئة .

هز الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

- ربما .

اتجه الطبيب بالمنشار الصغير إلى عظمة القص ، و ...

وفجأة ، فتحت الجثة عينيها ، وحدقت فى وجهه ببرود ..

وانتفض جسد الطبيب فى ارتياع ، مع تلك الحركة المباغتة ، وسقط المنشار الصغير من يده ، وهو يطلق شهقة رعب مكتومة ، فى حين تراجع الدكتور (حجازى) فى حركة حادة هاتفا :

- رباه !.. هذا مستحيل !

قالها والجثة تعتدل جالسة ، على مائدة الفحص ، وعيناها الباردتان كالثلج ترمقان الطبيب بنظرة ثابتة مخيفة ، فى حين اتسعت عينا هذا الأخير فى رعب هائل ، وقد تجمدت أطرافه ، ولم يعد بإمكانه أن يتحرك قيد أنملة ..

وفجأة ، انقضت اليد الباردة كالثلج على عنق الطبيب ، وقبضت عليه فى قوة ، شهق لها هذا الأخير ، قبل أن يصرخ فى رعب ، بصوت مختنق مبحوح :

ـ النجدة .. النجدة .

غادرت الجثة الباردة مائدة الفحص ، ويدها القوية ترفع الطبيب من عنقه ، حتى أن قدمى هذا الأخير راحتا تضربان الهواء فى رعب هائل ، وهو يواصل صرخاته ، بنفس الصوت المختنق المبحوح :

ـ النجدة .. النجدة .

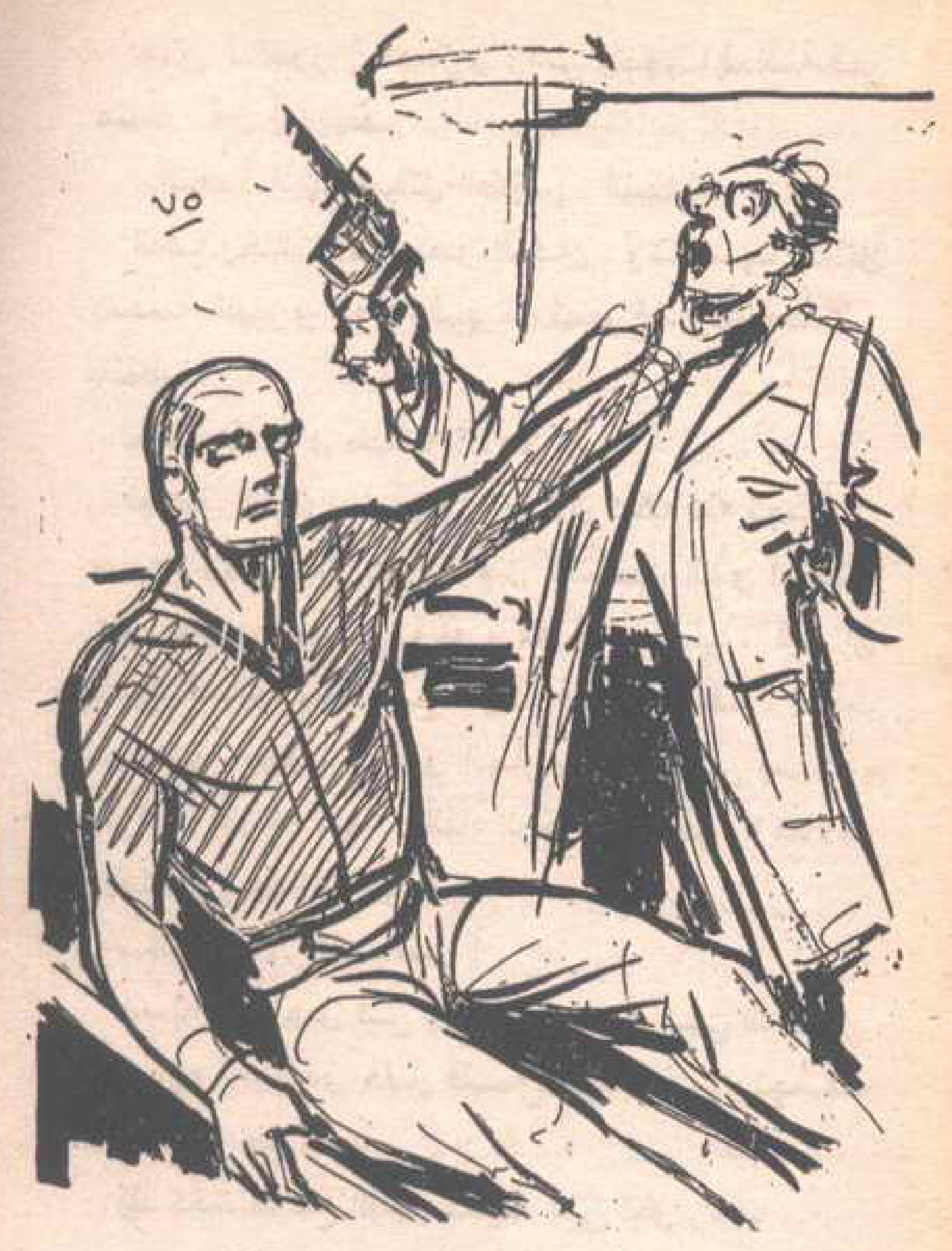
وهنا انتزع الدكتور (حجازى) نفسه من ذعره وذهوله ، واندفع نحو الجثة ، صارخًا :

ـ اتركه .. اتركه أيها الوغد .

تحركت اليد الخالية للرجل فى سرعة ، ولطمت الدكتور (حجازى) فى صدره ، فانتزعته اللطمة من مكانه ، وألقته ثلاثة أمتار إلى الوراء ، ليرتطم بباب الحجرة ، الذى انفتح مع الضربة العنيفة ، وألقى الدكتور (حجازى) خارج المكان فى قوة ..

وانتفض جسد (مشيرة) ، عندما رأت هذا المشهد ، فصرخت :

ـ ماذا يحدث هنا ؟.. ماذا يحدث ؟!



وفجأة انقضت اليد الباردة كالثلج على عنق الطبيب ، وقبضت عليه فى قوة ..

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهها لحظة فى صمت، قبل أن يهتف:

ـ النجدة .. إنه سيقتل الطبيب .. النجدة.

اندفع رجال الأمن نحو المكان، وكل منهم يستلّ مسدسه الليزرى، و (مشيرة) تصرخ، وجسدها كله ينتفض:

ـ من هذا الذى سيقتله؟.. من هذا؟

لم يجب الدكتور (حجازى)؛ لأن كيانه كله تجمّع فى عينيه، وهو يحدّق فى الرجل الضخم، الذى اعتصر عنق الطبيب بقبضته، وهو يرفع جسده عاليًا، قبل أن تنطبق أصابعه بغتة، مع صوت قرقعة عنيفة، انبعث من عنق الطبيب، الذى انهار رأسه على جسده، وتراخت أطرافه كلها، فألقاه الرجل أرضًا فى لا مبالاة، والدكتور (حجازى) يصرخ:

ـ لقد قتله .. قتله بالفعل!

استدار الرجل فى بطء، يتطلّع إلى الدكتور (حجازى)، الذى خفق قلبه فى عنف، وتجمّدت أطرافه فى هلع شديد ..

لقد كانت ملامح الرجل مخيفة على نحو رهيب ..

كانت باردة جامدة، بلا حياة أو مشاعر ..

تمامًا كما لو أنها قدّت من ثلج ..

وفى اللحظة نفسها، وصل رجال الأمن، ومسدساتهم مشهورة، وهتف قائدهم، وهو يشير للرجل:

ـ قف يا هذا! خطوة واحدة ونطلق النار.

لم تتغيّر الملامح الباردة درجة واحدة، فى حين تألّقت العينان ببريق أزرق مخيف، قبل أن تنطلق منها حزمتا ليزر، أصابتا صدر قائد الأمن، الذى أطلق صرخة ألم رهيبة، واشتعلت النيران فى صدره، مع انفجار محدود، سقط بعده جثة هامدة ..

ولم يكد هذا يحدث، حتى انطلقت أشعة الليزر القاتلة، من فوهات مسدسات رجال الأمن ..

واخترقت الخيوط كلها صدر الرجل، وعنقه، ورأسه ..

ثم تراجع رجال الأمن مصعوقين ..

لقد شاهدوا أشعتهم القاتلة تصيب الرجل فى كل المواضع القاتلة، دون أن تهتزّ فى جسده شعرة واحدة، وعيناه تدوران إلى هدف جديد، انطلقت نحوه حزمتا أشعة الليزر الزرقاوين، فدوى الانفجار المكتوم، مع صرخة ألم رهيبة، وسقط رجل أمن ثان صريعًا ..

ومرة أخرى ، عاد رجال الأمن يطلقون أشعتهم نحو الرجل ، الذى لم يتأثر البتة ، بل راح يمطرهم بأشعته القاتلة بلا رحمة أو مشاعر ..

كل هذا والدكتور (حجازى) جامد فى موضعه ، لا يجرؤ على التحرك قيد أنملة ، وعيناه المتسعتان فى ارتياع تحدقان فى المشهد فى رعب هائل ..

وهتفت (مشيرة) ، وهى تتابع ذلك المشهد الرهيب :

ـ ابتعد يا دكتور (حجازى) .. ابتعد .

ومع صرختها ، التفت إليها ذلك الرجل ، الذى حولته أشعة رجال الأمن إلى مصفاة ، وتألقت عيناه بالبريق الأزرق المخيف ، تمهيدًا لإطلاق أشعة الموت نحو هدفه الجديد ..

نحو (مشيرة) .

* * *

استيقظ (أحمد) الصغير بغتة من نومه ، وهو يهتف :

ـ لا .. لن أرحل معك .

واعتدل جالسًا فى فراشه ، وهو يلهث فى شدة ، وعيناه الزائغتان تدوران فى المكان ، قبل أن يغمغم :

ـ آه .. إنه مجرد كابوس ، كما تقول أمى .

وجلس لحظات فى مكانه ، ثم قفز من الفراش فى حماس ، وانحنى يجذب العلبة المبطنة بالرصاص من أسفله ، وفتحها ليلقى نظرة على قطعة الكريستال ، التى ينبض قلبها بضوء أزرق ، وابتسم ، قائلاً :

ـ هل تعلمين ؟.. لقد رأيتك فى حلمى .

وجلس القرفصاء أمام العلبة المفتوحة ، وهو يستطرد فى حماس :

ـ رأيت نفسى فى فراغ كبير ، ليس به أرض أو سقف أو جدران ، ورأيتك تتجهين نحو فجوة بعيدة ، تضىء بنفس لونك الأزرق الجميل ، ثم سمعتك تطلبين منى الرحيل معك ، إلى عالم آخر ، ولكننى لم أكن أريد هذا ، فصرخت ، وصرخت ، و ...

وحملت شفتاه ابتسامة كبيرة بريئة مشرقة ، وهو يستطرد :

ـ واستيقظت من النوم .

وانطلقت من بين شفتيه ضحكة كبيرة صافية ، قبل أن يقول :

ـ والعجيب أننى كنت أشعر بالخوف منك فى الحلم .

تزايدت سرعة نبض الضوء الأزرق ، فى قلب قطعة الكريستال ، وتألق أكثر وأكثر ، حتى أنه انعكس على

وجه الصغير ، الذى ذابت نظراته وشردت ، وتلاشت الانفعالات عن ملامحه فى بطء ، حتى بدا ساهمًا واجمًا ، والضوء ينعكس على وجهه فى إيقاع متغيِّر ، يحمل شيئًا من الانتظام ، فانفرجت شفتا الصغير ، وهو يتمتم فى شرود عجيب :

ـ نعم .. نعم .. إننى أسمعك .

ثم عاد إلى صمته وشروده بضع لحظات أخرى ، قبل أن يتابع :

ـ سأفعل كل ما تريدين .

تواصل تألّق الضوء الأزرق بضع لحظات أخرى ، همس الصغير بعدها :

ـ كل ما تريدين .

وهنا ، بدأ الضوء يخفت فى بطء ، وملامح (أحمد) مازالت شاردة واجمة ، ثم انحنى فى بطء ، وأغلق العلبة ، وأعادها إلى مخبئها تحت الفراش ، قبل أن يدخل إلى فراشه ، ويغلق عينيه ، متمتمًا :

ـ نعم .. سأفعل كل ما تريدين .

وراح بغتة فى نوم عميق ..

عميق للغاية ..

* * *

قفز (نور) و (أكرم) من السيارة فى اللحظة الأخيرة بالتأكيد ، فلم تكد أقدامهما تلمس الأرض ، ويقفزان مبتعدين ، حتى دوى الانفجار بكل عنف ..

ومع قوته ، وجد كل منهما نفسه يطير فى الهواء ، ويسقط وسط الأطلال فى عنف ، وآلام مبرحة تتصاعد فى جسده ، فصاح (أكرم) :

ـ (نور) .. هل نجوت ؟!

كان (نور) يشعر بآلام رهيبة ، فى كل عظمة من عظامه ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يستلّ مسدسه ، ويقفز واقفًا على قدميه ، وهو يجيب فى حزم :

ـ نعم يا (أكرم) .. لقد نجوت بفضل الله (سبحانه وتعالى) .

انتزع (أكرم) مسدسه بدوره ، وهو يهتف :

ـ رائع يا صديقى ، فالأمر يحتاج إلينا معًا ..

قالها ، وهو يصوِّب مسدسه التقليدى إلى أحد الرجلين ..

ويطلق النار ..

وفى نفس اللحظة ، أطلق (نور) أشعة مسدسه الليزرى ، نحو الهدف نفسه ..

وتوقَّف الرجلان فى آن واحد ، دون أن تحمل

ملامحهما الثلجية أية انفعالات ، والرصاصات تخترق جسد أحدهما فى مواضع شتى ، تؤازرها أشعة الليزر القاتلة ..

كان من الواضح أن ذلك الهجوم المزدوج أثار انتباههما ، بأكثر مما آلمهما ، فقد تجمَّدا لحظات ، وكأنهما يدرسانه ، قبل أن تتألق عيونهما بذلك البريق الأزرق ، فهتف (نور):

ـ احترس .

وثب الاثنان خلف جدار كبير ، أصابته الأشعة الزرقاء المزدوجة ، من عيون الرجلين ، فانفجرت قمته ، وتناثرت الأحجار منها فى مساحة واسعة ، وهتف (أكرم) :

ـ قل لى أيها العبقرى : ما الذى يمكن أن نفعله ؛ لمواجهة مخلوقات كهذه ؟!.. لقد حولنا أحدهما إلى مصفاة قديمة ، ولكنه لم يسقط ، ومازال يطلق علينا أشعته القاتلة .

أجابه (نور) فى توتر :

ـ هذان ليسا مخلوقين يا (أكرم) .. إنهما مجرَّد رجلين آليين ، تم صنعهما بدقة مدهشة ، وبتقنية متطوِّرة للغاية ، بحيث يشبهان البشر ، من حيث التكوين الخارجى فحسب .

لوَّح (أكرم) بيده ، قائلاً :

ـ عظيم .. وكيف يمكن مواجهة رجلين آليين مثلهما فى رأيك ؟

هزَّ (نور) رأسه قائلاً :

ـ لست أدرى ، ولكننى واثق من أن التصويب إلى المواضع القاتلة للبشر ، لن يكون مجديًا معهما .. لقد احتاط صانعوهما للأمر ، فوضعوا أجهزة التحكُّم فى موضع لا يتم التصويب عليه فى المعتاد .

انتزع (أكرم) خزانة مسدسه الخاوية ، ووضع أخرى ممتلئة فى موضعها ، وهو يقول فى حزم :

ـ فليكن .. دعنا نطلق النار على المواضع الأخرى إذن .

قفز الاثنان من خلف بقايا الجدار ، فى آن واحد تقريبًا ، وراح كل منهما يطلق مسدسه نحو الرجل نفسه ، ولكن فى مواضع مختلفة تمامًا ..

فى فخذيه ، وساقيه ، وقدميه ، وذراعيه ..

واخترقت الأشعة والرصاصات تلك المواضع فى سرعة ، و (أكرم) يهتف :

ـ هيَّا .. مت أيها الوغد .. مت .

وفجأة ، تألَّقت عينا الآلى فى شدة ، فصاح (أكرم) :

- احترس يا (نور) .. سيطلق علينا أشعته .

قفز الاثنان خلف الجدار ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها الانفجار ..

وفى هذه المرة ، كان الانفجار محدودًا للغاية ..

لقد انفجر الآلى نفسه ، وتناثرت أجزاؤه المشتعلة على مساحة واسعة ، وعلى نحو جعل (أكرم) يهتف ، وهو ينهض لرؤية ما حدث :

- لقد فعلناها يا (نور) .. فعلـ ...

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على الآلى الثانى ، الذى ظلت ملامحه جامدة باردة كالثلج ، وإن تألقت عيناه بشدة ، لتنطلق منها الأشعة القاتلة ..

ووثب (أكرم) مبتعدًا ، وهو يهتف :

- (نور) .. إنه ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، انفجر الجدار فى عنف ، وقذف الانفجار (نور) و (أكرم) بعيدًا ، والأول يقول :

- إنه ينتقم لزميله .

لم يكد ينطقها ، حتى انتبه فجأة إلى أن الآلى الثانى يقف على مسافة متر واحد منهما ، وعيناه تتألقان فى شدة ، ببريق أزرق قوى ، و ...

ولم يعد هناك مفر من الموت هذه المرة .. أبدًا .

* * *

٦ - البحث ..

كان ذلك الرجل الثلجى ، فى المستشفى المركزى ، يستعد لإطلاق أشعته القاتلة على (مشيرة) ، والآخر عند الأطلال يهمّ بنسف (نور) و (أكرم) ، و ...

وفجأة ، توقّف الرجلان دفعة واحدة ، وخبا بريق عيونهما ، التى التفتت صوب اتجاه واحد بالتحديد ، ونحو نقطة محدودة ، فى قلب (القاهرة) ..

نحو منزل المهندس (وجدى) وزوجته المهندسة (نادرة) ، والدَىْ الصغير (أحمد) ..

ففى تلك اللحظة بالتحديد ، كان (أحمد) قد انتهى من رواية حلمه ، لتلك القطعة من الكريستال ، التى راحت تتألّق فى شدة ..

ومع جمود الرجلين ، قال (أكرم) فى دهشة :

- ماذا أصابه ؟!

هتف (نور) :

- ومن يهتمّ ؟

ثم راح يطلق أشعة مسدسه نحو ساقى الرجل وفخذيه وقدميه ..

وبلا تردُّد ، اشترك معه (أكرم) ..

ومع ذلك الهجوم العنيف ، فارق الرجل جموده ، والتفت إليهما ، وهمّ بنسفهما بأشعته القاتلة ، وعيناه تتألّقان بذلك البريق الأزرق المدهش ، و ...

وجذب (نور) (أكرم) من ذراعه ، هاتفًا :

ـ ابتعد .. ابتعد بأقصى سرعة .

انطلقا يعدوان مبتعدين ، و (أكرم) يهتف :

ـ لماذا لم يطلق علينا أشعته ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى الانفجار من خلفهما ، فقفزا إلى الأمام ، وسقطا أرضًا ، وأخفى كل منهما رأسه بذراعيه ، والشظايا الرفيعة المشتعلة تتناثر حولهما ..

وفي حماس ، هتف (أكرم) :

ـ لقد توصّلنا إلى نقطة ضعفه يا (نور) .. نفس نظرية كعب (أخيل)(*) .

أجابه (نور) ، وهو ينهض ملتفتًا خلفه :

(*) أخيل : بطل من أبطال الأساطير اليونانية القديمة ، تقول الأسطورة إن أمه غطّسته في مياه النهر المقدّس ، عندما كان طفلاً رضيعًا ، فاكتسب قوة جبارة ، وصار جسده كله منيعًا ، فيما عدا كعبه ، الذي أمسكته منه أمه ، عندما وضعته في النهر ، وعندما عرف أعداؤه هذا ، أصابوه بسهم في كعبه ، فخر صريعًا ، وقصته موجودة في (الإلياذة) .

ـ هذا صحيح إلى حد ما ، ولكن السؤال هو : في أية نقطة بالتحديد ، يقع موضع الضعف هذا ؟

لوّح (أكرم) بمسدسه ، قائلاً :

ـ ومن يهتمّ ؟!.. عندما نلتقي بواحد آخر ، سنمطر ساقيه وفخذيه وقدميه بالنيران ، و ...

قاطعه (نور) في حزم :

ـ هذا لو وجدت الوقت لتفعل .

سأله (أكرم) :

ـ ماذا تعني ؟

أجابه (نور) ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده :

ـ أعني أنه من المحتمل أن تواجه أحدهما في لحظة حاسمة ، ليس أمامك فيها الفرصة ، إلا لإطلاق رصاصة واحدة ، وفي هذه الحالة ، إما أن تعرف أين ينبغي إطلاقها بالتحديد ، أو تخسر فرصتك إلى الأبد ، ومعها حياتك كلها .

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

ـ أشكرك يا (نور) ، على إصابتي بالإحباط دومًا .

ابتسم (نور) ، قائلاً في هدوء :

ـ إنما أحاول تحذيرك يا صديقي .

اندفع نحوهما ضابط الصاعقة ، في تلك اللحظة ، وهو يهتف :

ـ كيف فعلتما هذا ؟.. لقد عجزت الفرقة كلها عن منعهما !

أشار (أكرم) إلى مسدسه ، قائلاً :

ـ ربما لو استخدمتم أسلحة تقليدية كهذه ، لما عجزتم عن هذا .

لم يلتقط الضابط الدعابة ، وهو يجيب فى جدية :

ـ لا أعتقد هذا ؛ فتأثير الأسلحة التقليدية ليس أقوى من تأثير الأسلحة الحديثة ، ثم إن هذين الرجلين ليسا فريدين من نوعهما ، فهناك ثالث فى المستشفى المركزى ، تصوَّروا أن مجرَّد شخص لقى مصرعه ، فى حادث تصادم ، وعندما همّوا بتشريح جثته ، انتفض واقفًا ، وأطلق أشعة عينيه فى الجميع بلا رحمة .

هتف (أكرم) :

ـ ماذا تقول ؟!.. المستشفى المركزى .

ثم انطلق يعدو ، مستطردًا :

ـ أسرع يا (نور) .. (مشيرة) هناك .. (مشيرة) فى خطر .

فى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها عبارته ، كانت (مشيرة) تلتصق بالجدار فى رعب هائل ، والرجل الآلى يقطع الممر أمامها فى خطوات هادئة ، متجهًا إلى

باب المستشفى ، ومن خلفه يهتف قائد فريق الأمن :

ـ رويدكم يا رجال .. لا تطلقوا النار مباشرة .. اتبعوه فى حذر ، لنعرف ما الذى يهدف إليه بالضبط .

التصقت (مشيرة) بالجدار أكثر وأكثر ، وتمنَّت لو أنها استطاعت الذوبان فيه ، وعيناها تحدقان فى جانب وجه الآلى ، الذى يعبر أمامها بالضبط ..

كانت خيوط الأشعة قد اخترقت الوجه ، فى مواضع شتى ، وصنعت فيه عشرات الثقوب المستديرة ، ذات الأطراف المحترقة ، وأذابت جزءًا من بشرته الصناعية ، فتهدَّلت على نحو بشع ، كاشفة جمجمته البيضاء الناصعة أسفلها ، والشبيهة إلى حد مدهش بجمجمة البشر ..

وفى رعب هائل ، حبست (مشيرة) أنفاسها ، حتى ابتعد عنها الآلى ، مواصلاً طريقه إلى باب المستشفى ، وخلفه فريق الأمن ، فانفجرت باكية فى مرارة ، حتى شعرت بيد الدكتور (حجازى) ، تربّت عليها فى حنان ، والرجل يهمس :

ـ اطمئنى يا بنيتى .. كل شىء أصبح على ما يرام .. كل شىء .

تركت (مشيرة) العنان لدموعها ومشاعرها ،

وعيناها تتابعان مسيرة الآلى ، الذى توقَّف بعد تجاوزه لباب المستشفى ، وجمد فى موضعه تمامًا ، وكأن طاقته قد نفدت ونضبت بغتة ، فغمغم رجل الأمن فى حذر :

ـ خذوا الحذر .. ربما انقلب موقفه بغتة .

قال أحد رجاله فى توتر شديد :

ـ إنه ليس بشريًا حتمًا يا سيِّدى .. جراحه لا تنزف دمًا ، وأشعتنا لا تنال منه .

صاح فيه قائده فى صرامة :

ـ اصمت يا رجل ، وأد واجبك ، دون إثارة التوتر والبلبلة .

أما (مشيرة) ، فقد استعادت فضولها الصحفى بغتة ، وانتزعت نفسها من يد الدكتور (حجازى) ، وهى تعدو نحو رئيس فريق التصوير ، الذى انكمش فزعًا بدوره ، وهتفت :

ـ هل آلات التصوير جاهزة للعمل ؟!

تطلَّع الرجل إليها فى دهشة ، قبل أن يجيب :

ـ نعم .. إنها ...

قاطعته فى لهفة :

ـ ماذا تنتظرون إذن يا رجل ؟!.. هل يبدو لكم ما يحدث عاديًا مألوفًا ، إلى الحد الذى فقدتم فيه حماسكم

للعمل .. هيَّا .. لا تضيعوا فرصتنا فى الفوز بهذا السبق الصحفى النادر .

انتقل حماسها كشرارة قوية ، إلى فريق التصوير ، فنشط رجاله لإعداد آلاتهم ومعداتهم ، وبدءوا عملية التصوير على الفور ..

ولكن المشهد نفسه كان خاملاً للغاية ..

لقد وقف الآلى جامدًا ، أمام باب المستشفى ، وهو يتطلَّع إلى نقطة واحدة ، وكأنما تركَّز كيانه كله فيها ، وطالت وقفته لدقائق كاملة ، حتى غمغم أحد أفراد الطاقم :

ـ هل سنظل هنا إلى الأبد ؟

أجابته (مشيرة) فى حزم :

ـ من يدرى ؟.. أد واجبك فحسب .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى تحرَّك الآلى بغتة ، وهو ينطلق نحو النقطة نفسها ، التى حازت تفكيره طويلاً ..

وفى حماس ، هتفت (مشيرة) :

ـ اتبعوه .. سيقودنا حتمًا إلى هدف ما .

انطلق فريق التصوير خلف الآلى ، الذى لم يكد يقطع عدة أمتار ، حتى ظهرت سيارة من سيارات الصاعقة ، وبرز منها (أكرم) ، وهو يهتف :

- ها هو ذا الثالث .

ومع هتافه ، توقّفت السيارة فى عنف ، وإطاراتها تطلق صريرًا مخيفًا ، وقفز منها رجال الصاعقة ، مع (أكرم) و (نور) ، والأخير يهتف :

- صوّبوا على السيقان والأقدام .

تراجع رجال فريق التصوير ، و (مشيرة) تصرخ فيهم :

- لا تتوقّفوا .. التقطوا كل ما يحدث .

ضاعت صرختها ، وسط ذلك السيل المنهمر من خيوط الأشعة ، التي انطلقت نحو الآلى ، الذى راح يطلق أشعته بدوره ، ثم ...

ثم تألّقت عيناه فى شدة ، وصاح (نور) :

- حانت اللحظة .. ابتعدوا فى سرعة .

انطلق الجميع يجرون فى كل اتجاه ، ويحتمون بكل ما يمكن الاحتماء به ..

ثم انفجر الآلى ..

ومع انفجاره ، تحطّمت البوّابة الزجاجية للمستشفى ، وتناثرت الشظايا المشتعلة فى كل مكان ، على مساحة واسعة ، قبل أن يتلاشى الدوى بسرعة ، ويسود الهدوء التام ..

وفى دهشة ، هتف أحد رجال الصاعقة :

- إذن فالسر يكمن فى السيقان والأقدام .

أجابه (أكرم) ، وهو ينهض ، ويعيد مسدسه إلى غمده :

- بالضبط .. هل عرفت الآن ما كانوا يعنونه قديمًا ، بعبارة : « رأسه فى قدميه » ؟

قال (نور) فى حزم :

- ولكن صانعيه تعمّدوا انفجاره التام ، فور إصابة مركزه ، حتى لا يمكن تحديده بالضبط ، أو حتى فحص تركيبه .

تنهّد (أكرم) ، وهو يقول :

- ولكن لماذا جاءوا يا (نور) ؟!.. ما الذى يسعون إليه بالضبط ؟!

استمع (نور) إلى السؤال ، وهو يتطلّع إلى الشمس ، التى تشرق من خلف بنايات العاصمة الجديدة ، دون أن يهتمّ بإجابته ..

هذا لأن الجواب كان يملأ نفسه بقلق كبير ..

قلق يحتلّ كيانه كله ، ويعيد إلى ذهنه ذكرى بغيضة ..

ومخيفة ..

مخيفة للغاية ..

* * *

« طليعة غزو جديد ؟!.. »

هتف القائد الأعلى للمخابرات العلمية بالعبارة ، فى انزعاج تام ، قبل أن يستطرد متوترًا فى شدة :

ـ استنتاجك هذا مخيف يا (نور) ، ولو تسرَّب إلى الصحافة ووسائل الإعلام ، سيجتاح العالم ذعر هائل ، فالناس لم تنس الذكريات المخيفة لفترة الاحتلال(*) ، والخلاص من الغزاة ليس بالذكرى البعيدة(**) ، والفترة التى تلته كانت أكثر عنفًا وألمًا(***) .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ إنه استنتاج وليس تخمينًا يا سيِّدى ، ولو راجعنا الوقائع معًا ، فستقتنع بصحة استنتاجى هذا ، على الرغم مما يحمله من خطر ومخاوف .. ففى البداية تكشف الأجهزة ، بالمصادفة البحتة ، جسمًا ينطلق نحو الأرض ، من الفضاء الخارجى ولكنها تعجز فى الوقت ذاته عن رؤيته ، وعلى الرغم من هذا ، يرصده القمر الدفاعى الجديد ، فى بداية عمله ، ويصنِّفه كجسم معاد ،

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

(**) راجع قصة (النصر) المغامرة رقم (٨٠) .

(***) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

وليس كنيزك عادى ، أو جسم فضائى مجهول ، على الرغم من أن أجهزته الدقيقة يمكنها تحديد هويته بدرجة من الدقة ، تبلغ سبعًا وتسعين فى المائة ، وهى نسبة مرتفعة للغاية ، بالنسبة للعمليات المعقَّدة ، التى يحتاج إليها جسم أمر كهذا .. المهم أن القمر الدفاعى اعتبره جسمًا معاديًا ، وأطلق عليه النار بالفعل .

قالها ، وهو يضغط زر الاسترجاع ، فى جهاز الرصد العام ، فى مكتب القائد الأعلى ، فانطلق من الجدار شعاع رفيع ، تكاثفت نهايته فى سرعة ، لتصنع صورة هولوجرافية للحدث ، بدا فيها ذلك الجسم ، وهو يهوى نحو الأرض ، ككتلة من اللهب الأزرق ، و (نور) يتابع :

ـ ومع إصابته ، بدا ذلك الجسم واضحًا للأعين ، وهوى على الأرض فى خط مستقيم ، وكان المفترض ، نظرًا لزاوية سقوطه ، أن يهوى فوق (القاهرة الجديدة) مباشرة ، ولكنه غيَّر مساره بغتة ، ليسقط وسط الأطلال القديمة ، وينفجر جزء منه هناك .

وصمت لحظة ليلتقط أنفاسه ، قبل أن يلوِّح بيده ، مستطردًا :

ـ وعندما يفحصه طاقم العلماء بالأشعة الفائقة ،

يتضح لهم أنه جسم مجوف ، يحوى آلات معقدة ، ولكن أشعتهم تستثير شيئا ما فيه ، فينفجر ، ويتحول إلى كومة من الشظايا الدقيقة ، التى يستحيل فحصها ، أو تحديد هويتها ، وعلى الرغم من هذا ، يظهر فجأة ثلاثة من الآليين ، يتجهون لفحص موقع السقوط ، وتصدم (مشيرة) أحدهم مصادفة ، وتتسبب صدمتها فى إيقاف آلاته لسبب ما ، فيسقط ، وتخدع دقة صنعه الأطباء ، فيتصورون أنه شخص لقى مصرعه ، وما إن يبدءوا فى فحصه ، حتى يهاجمهم فى وحشية ، ثم يتوقف عن هذا بغتة ، وكأنما تلقى إشارة خاصة ، تدعوه إلى الاتجاه لمكان ما ، وفى الوقت نفسه ، يهاجم الآليان الآخران فريق حراسة موقع السقوط ، وينتصران على الجميع ، وعندما ننسف أنا و (أكرم) أحدهما ، يوقع بنا الآخر ، ويكاد يسحقنا بأشعته ، إلا أنه يتوقف فجأة ، على النحو نفسه ، الذى حدث مع الآخر فى المستشفى ، وتوقفه هذا يتيح لنا التخلص منه .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ (نور) .. إنك تلخص لى ما حدث .. أين استنتاجك ؟

تنهد (نور) ، قائلاً :

ـ الأمر كله غامض للغاية يا سيدى ، وبعض نقاطه لا تتفق مع البعض الآخر ، فتغيير مسار الكتلة الملتهبة ، لتسقط فى الأطلال ، بدلا من سقوطها على العاصمة الجديدة ، يعنى أن الشخص الذى يتحكم فى مسارها ، لديه اهتمام واضح بالحفاظ على الأرواح والأشخاص ، وفى الوقت نفسه ، يرتبط بالموقف أشخاص آليون ، لا يقيمون للحياة وزنا ، فى سبيل بحثهم عن شىء ما ، له علاقة وثيقة بسقوط ذلك الجسم ، والسؤال المخيف حقا ، هو من أين أتى هؤلاء الآليون ؟.. إنهم لم يأتوا من الفضاء الخارجى حتما ، وإلا لكشف القمر الدفاعى مجيئهم ، مثلما كشف أمر ذلك الجسم الغامض ، وهذا يعنى أنهم أتوا من هنا .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يقول فى حزم :

ـ ما الذى تريد قوله بالضبط يا (نور) ؟

شد (نور) قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يجيب :

ـ أريد أن أقول : إن هذا الجسم الغامض ، الذى أطلق عليه القمر الدفاعى نيرانه ، ليس أول جسم يصل إلى كوكبنا ، ولكنه أول جسم نكشف قدومه إلى هنا ، وأن الذين أتوا بالأجسام الفضائية السابقة قد استقروا فى

عالمنا ، وصنعوا قاعدة لتحركاتهم ، يرسلون منها هؤلاء الآليين ، كوسيلة للبحث عن شىء بالغ الأهمية ، كان يحمله ذلك الجسم الفضائى .. شىء استحق منهم أن يخاطروا بإعلان وجودهم ، على هذا النحو السافر .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ شىء قد يتوقَّف عليه مصيرنا جميعًا ، أو مصير كوكب الأرض كله .

وسرت فى جسد القائد الأعلى ارتجافة باردة .. باردة كالثلج ..

* * *

تطلّعت المهندسة (نادرة) ، عبر نافذة المطبخ ، إلى حديقة منزلها الصغيرة ، فى حيرة واضحة ، قبل أن تلتفت إلى الداخل ، هاتفة :

ـ (أحمد).. لماذا لم تلعب فى الحديقة اليوم ؟

كانت واثقة من أن صوتها مرتفع بما يكفى ، ليبلغ حجرة ابنها ، إلا أنها ، وعلى الرغم من هذا ، لم تتلقّ منه جوابًا ، فكرّرت النداء مرتين ، قبل أن تقول فى قلق :

ـ (أحمد) .. هل تسمعنى ؟

تخلّت عما تفعله ، واتجهت فى خطوات سريعة إلى

حجرة ابنها ، ولم تكد تبلغها ، حتى ارتفع حاجباها فى دهشة ، قائلة :

ـ ما الذى تفعله بالضبط ؟

كان (أحمد) الصغير منهمكًا فى توصيل آلته الحاسبة الصغيرة بجهاز الكمبيوتر ، الذى امتدّت منه عدة أسلاك ، اتصل بعضها بجهاز التحكم عن بعد ، الخاص بسيارته اللاسلكية ، فى حين بقيت الأسلاك الأخرى خالية عند أطرافها ، ولقد التفت إليها فى هدوء ، قائلاً :

ـ صباح الخير يا أمى .. إننى أخترع لعبة جديدة .

تطلّعت إلى ما يفعله لحظة فى دهشة ، قبل أن تغمغم :

ـ تخترع لعبة جديدة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى هدوء ، ثم سألها فى لهفة مباغتة :

ـ أمى .. هل يمكننى استعارة جهاز الراديو الصغير ؟

أجابته فى دهشة :

ـ بالتأكيد ، ولكن ما الذى تنوى فعله به ؟

أشار إلى الأطراف الحرة للأسلاك ، مجيبًا فى حماس :

ـ سأعكس دوائرها ، وأوصلها بالأسلاك ، وعندما

أستخدم جهاز تردُد فائق القوة ، سيمكنني صنع لعبتى الجديدة .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تحدِّق فيه ، قبل أن تجلس على طرف فراشه ، وتسأله فى حيرة :

ـ أين تعلمت هذا ؟!.. مناهجك الدراسية لا تسمح لك ببلوغ هذا القدر .

تطلَّع إليها (أحمد) بابتسامة مرحة ، وهو يقول فى حماس :

ـ حلمت به .

هتفت فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

لوَّح بذراعيه فى حماس ، وهو يجيب :

ـ حلمت أمس أننى أصنع هذه اللعبة ، واستيقظت وأنا أحفظ ما ينبغى فعله عن ظهر قلب .. هذه الأسلاك ستتصل بالراديو ، والأخرى بجهاز (الميكروويف) ، أما تلك ...

قاطعته فى حذر :

ـ المهم ، ما الذى سيصبحه هذا فى النهاية ؟

بدت عليه الحيرة ، وهو يتطلَّع لما فعل ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغمًا :



اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تحدِّق فيه ، قبل أن تجلس على طرف فراشه ..

ـ لست أدرى .

هتفت متراجعة :

ـ لست تدرى ؟!

ثم أطلقت ضحكة مجلجلة ، ونهضت قائلة :

ـ هذا ما توقّعته .

هتف بها قبل أن تغادر الحجرة :

ـ وماذا عن الراديو الصغير ؟

لوّحت بيدها فى لا مبالاة ، قائلة :

ـ يمكنك استعارته بالطبع .

ارتسمت على شفتيه الصغيرتين ابتسامة كبيرة واثقة ، وهو يلتفت إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ لقد خدعناها .. أليس كذلك ؟

واتسعت ابتسامته ، وهو يواصل عمله فى حماس ، لإكمال لعبته الجديدة ..

اللعبة التى قد يكون لها أكبر الأثر فى مصيره .. أو فى مصير الأرض كلها .

* * *



٧ ـ النداء ..

تطلّعت (هناء) فى اهتمام شديد ، إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الكبير ، فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، وهى تقول لـ (نور) و (أكرم) :

ـ من حسن الحظ أن الانفجار لم يتلف الشريط المسجّل ، لجهاز الفحص بالأشعة الفائقة ؛ لذا فقد احتفظنا بكل ما سجّله .. انظرا .. من الواضح أن ذلك الجسم مجوّف من الداخل ، والنقاط المتألّقة تشير إلى وجود أجهزة متطوّرة داخله ، مما يؤكّد أنه ليس نيزكًا عاديًا ، وإنما هو سفينة فضاء صغيرة .

سألها (أكرم) فى اهتمام :

ـ ما الذى تقصدينه بكلمة (صغيرة) هذه ؟

أجابته مشيرة إلى الشاشة :

ـ أقصد أنها ليست مؤهّلة للسفر عبر النجوم ، وإنما هى أشبه بسفينة استطلاع ، معدّة لراكب واحد على الأرجح ، فى مهمة محدودة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ ولكن هذا يعنى أنها أتت من سفينة أو محطة

فضائية كبيرة ، على مقربة من الأرض .

أومأت برأسها إيجابًا ، قائلة :

ـ هذا احتمال وارد ، ولقد اتخذت الإدارة العدة لدراسته ، وهم يفحصون الفضاء الخارجى المحيط بكوكب الأرض ، فى محاولة للعثور على السفينة الأم ، التى أتت منها تلك السفينة الصغيرة ، كما يتم الآن بحث الاحتمال الثانى .

سألها (أكرم) فى دهشة :

ـ أيوجد احتمال ثان ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالطبع يا (أكرم) ، وهذا الاحتمال الثانى يعتمد على وجود تلك المحطة الأم على كوكب الأرض بالفعل ، وعلى أن السفينة الصغيرة انطلقت منها فى مهمة محدودة ، وتم اصطيادها فى أثناء رحلة عودتها إلى المحطة .

أومأت (هناء) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ بالضبط .. والاحتمالان يثيران قدرًا كبيرًا من القلق والخوف ، لدى القيادة والمسئولين ، الذين استنفروا كل الجهود والإمكانيات ، لحسم الأمر ، والعثور على تلك المحطة الأم المجهولة .

ثم أشارت بسبابتها ، مستطردة :

ـ والمهم أيضًا أن الفحص بالأشعة الفائقة لم يثبت وجود أجهزة متطورة داخل تلك السفينة الصغيرة فحسب ، فهذه الخطوط الطولية ، التى ترونها على جانب الصورة ، والتى انقسمت إلى مجموعتين منتظمتين ، تشير إلى وجود نوع من أنواع الحياة داخلها أيضًا .

انعقد حاجبا (نور) أكثر ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ حياة !.. أتقصدين أنه كان هناك شخص ما ، يقود تلك السفينة ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ هذا احتمال بديهى ، ولقد توصل إليه (نور) ، فور انحراف مسار سقوط كتلة اللهب .. لقد أدرك على الفور أن الشخص الذى يقودها عدل مسارها ، فى محاولة لمنع ارتطامها بالعاصمة .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ ومازال هذا الموقف يدهشنى يا (هناء) ، فهو يوحى بشهامة وأخلاق صاحبه ، الذى أدرك أن نجاته أصبحت مستحيلة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بذل جهده لتغيير مسار السفينة ، حتى لا يلقى الأبرياء

مصرعهم ، ثم يأتى من يبحثون عنه ، فيقتلون ويدمرون بلا تردُد أو رحمة ، وكأنما لا تعنى كلمة (الحياة) شيئًا عندهم .

هزّت رأسها فى حيرة ، قبل أن تقول :

ـ لست أدرى كيف يمكننى تفسير هذا يا (نور) ، ولكن ربما كان لدى ما يعاونك على التوصُّل للحل .

وعادت تشير إلى الشاشة ، مستطردة :

ـ سبق أن أخبرتكما أن الخطوط ، التى تشير إلى وجود الحياة ، تنقسم إلى مجموعتين منتظمتين ، فما الذى يعنيه هذا فى رأيكما ؟

ودون أن تنتظر جوابًا منهما ، ضغطت أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، مضيفة :

ـ دعنا نر بم يجيب الكمبيوتر هذا .

اختفت الصورة كلها من الشاشة ، فيما عدا مجموعتى الخطوط الطولية ، وراحت الكلمات تتراص على الشاشة فى سرعة ، و (هناء) تتابعها ، وتترجمها قائلة :

ـ من الواضح أن المجموعة الأولى فى الخطوط تشير إلى نوع متطوّر من أشكال الحياة ، صحيح أن تركيبه الجينى يختلف إلى حد ما عن تركيبنا التقليدى ،

إلا أنه نوع أشبه بالثدييات المتطوّرة عندنا ، وهذا يعنى وجود مخلوق عاقل ، والفحص الإشعاعى العاقل يشير إلى أنه صغير الحجم ، له أربعة أطراف كالبشر ، ورأس كبير نسبيًا ، ولقد لقى مصرعه فور ارتطام الجسم بالأرض على الأرجح .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا عن المجموعة الأخرى من الخطوط ؟

أومأت برأسها ، وهى تشير إلى الشاشة ، قائلة :

ـ هنا يكمن اللغز الأكبر ، فالتركيب الذى تشير به تلك المجموعة الثانية لا يشبه أية تركيبات جينية أو عضوية معروفة فى عالمنا ، وإن كان نوع الأحماض الأمينية فيها ، يجعلها أقرب إلى الفيروسات(*) ، ولكنها كبيرة الحجم نسبيًا ، والفحص الإشعاعى الفائق يشير إلى وجود أربعة أشياء منها ، تحطّمت كلها مع السقوط والانفجار الأوّل ، ولا ريب أن الانفجار الثانى سحق ما تبقّى منها ، فلم يعد لها أثر بعده .

(*) الفيروسات : مجموعة من الكائنات الحية المعدية ، والمسببة لكثير من الأمراض فى الإنسان والحيوان والنبات ، تتميّز بدقة حجمها ، بحيث لا ترى إلا بوساطة المجهر الإليكترونى ، وهى كائنات متطفلة ، فلا تحيا أو تنشط وتتكاثر ، إلا داخل الخلايا الحية ، وإلا فهى مجرّد بلورات جامدة .

تطلّع (نور) إلى الشاشة صامتًا ، وارتسمت على وجهه دلائل التفكير العميق ، فى حين ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، فالتقط (أكرم) سمّاعته ، وهو يقول :

ـ إدارة البحث العلمى .. من المتحدِّث ؟

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى محدِّثه ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ سنصل على الفور .

وأنهى المحادثة ، وهو يلتفت إلى (نور) ، قائلًا :

ـ ظهر واحد آخر يا (نور) ، فى قلب المدينة .

التفت إليه (نور) فى حركة حادة ، و (هناء) تسأل فى قلق :

ـ واحد آخر ؟!

أجابها فى حزم :

ـ نعم .. آلى آخر يشقّ طريقه عبر المدينة ، إلى هدف ما .

خفق قلبها فى عنف ، وهى تراقبهما يندفعان مغادرين المكان ، فى طريقهما إلى حيث ظهر ذلك الآلى الآخر ، ثم استدارت إلى شاشة الكمبيوتر ، وحدّقت فيما حوته من معلومات ، وعقلها يعمل بكل قوته ، بحثًا عن تفسير لهذا اللغز العجيب ، الذى تسبّب فى كل هذا العنف الغامض ..

لغز يصنعه رجال آليون ، لهم وجوه مخيفة .. وجوه من ثلج ..

* * *

انطلق بوق سيارة الشرطة ، يعلن عن اقترابها من ذلك الموضع ، فى منتصف المدينة ، ثم لم تلبث أن ظهرت فى بداية الشارع ، وتوقّفت هناك ، وقفز منها ثلاثة من رجال الشرطة ، يحملون مدافعهم الليزرية ، وسأل أحدهم شرطى المرور فى توتر :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

كان الشرطى المسكين يرتجف ، وهو يجيب :

ـ كل شىء كان يسير على ما يرام ، على الرغم من الازدحام التقليدى ، فى تلك الفترة من اليوم ، ثم فوجئ زميلى بذلك الرجل الأصلع الضخم يعبر الشارع ، معترضًا طريق السيارات ، التى توقّفت بغتة ، وراحت تصطدم ببعضها ، وخرج قائدوها ساخطين ، فأسرع زميلى إليه ، وصاح فى وجهه يؤنبه على ما فعل ، ويطالبه بدفع غرامة عبور المشاة ، ولكن الأصلع تجاهله تمامًا ، فجذبه زميلى من سترته فى عنف ، و ...

بتر عبارته ، عندما اختنق صوته فى حلقه ، فازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يتابع فى صوت مبحوح :

ـ وفجأة ، لطمه ذلك الأصلع لطمة رهيبة . قذفته ثلاثة أمتار فى الهواء ، ثم انطلقت من عينيه أشعة زرقاء ، انفجرت فى صدر زميلى المسكين ، وقتلته على الفور ، وهنا راح الجميع يجرون يمنة ويسارًا ، والأصلع يطلق الأشعة من عينيه ، وينسف السيارة تلو الأخرى ..

وازدرد لعابه مرة ثانية ، ثم استطرد :

ـ وما زال يفعل حتى الآن !

تطلّع رجال الشرطة فى توتر إلى الآلى الأصلع ، الذى يشق طريقه بين السيارات المحطّمة ، وينسف ما يعترض طريقه منها ، ثم قال أكبرهم رتبة :

ـ سنقترب منه ، حتى مسافة ستة أمتار ، ثم نطلق النار معًا ، مع إشارة يدى .

قالها ، وتحرّك نحو الآلى فى خفة وسرعة ، فلحق به زميلاه ، واقترب الثلاثة حتى مسافة ستة أمتار تقريبًا ، وهنا رفع يده ، قائلاً :

ـ استعدوا .

وتردّد لحظة ، قبل أن يخفض يده ، هاتفًا فى حزم :

ـ الآن .

ومع إشارته ، انطلقت أشعة مسدساتهم نحو الآلى ، وراحت تخترق جسده فى مواضع شتى ، قبل أن يهتف أحدهم ذاهلا مذعورًا :

ـ ربّاه !.. وكأننا نطلق أشعتنا على صورة هولوجرافية .

ومع قوله ، التفت الآلى إليهم فى بطء ، وتألّقت عيناه بذلك البريق الأزرق ، ثم ...

ثم انطلقت أشعته القاتلة .

ودوى الانفجار الأزرق فى صدر أحد رجال الشرطة الثلاثة ، وأسقطه جثة هامدة ، ثم فى ذراع الثانى ، الذى أطلق صرخة ألم هائلة ، قبل أن يسقط أرضًا ، فتراجع الثالث ، وهو يلوّح بيده ، قائلا :

ـ إننا لم نكن نقصد هذا .. لم نكن نقصده أبدًا .

ولكن الآلى تطلّع إليه لحظة بوجهه الجامد كالثلج ، ثم تألّقت عيناه بالبريق الأزرق ، و ..

وفجأة ، انهال عليه وابل من النيران ..

مزيج من الأشعة القاتلة ، والرصاصات التقليدية ، مع صوت (أكرم) الساخر ، وهو يقول :

ـ لا تخر أمامه يا رجل الشرطة .. نحن هنا .

كانت نيران (نور) و (أكرم) تنصبّ على الأماكن غير التقليدية من جسد الآلىّ ..

على ساقيه ، وقدميه ، و ...

ولكن الآلى لم يتأثّر هذه المرة ..

لقد التفت إليهما فى بطء ، على الرغم من السيل المنهمر عليه من نيرانهما ، وبدون أية انفعالات على وجهه الجامد ، وأطلق من عينيه الأشعة الزرقاء القاتلة ..

وبكل قوته ، دفع (نور) (أكرم) جانبًا ، وهو يهتف :

ـ احترس .

ولكن الأشعة الزرقاء انفجرت فى فخذ (أكرم) ، قبل أن يسقط أرضًا ، وهو يطلق صرخة ألم عنيفة ، فى حين انبطح (نور) أرضًا ، وهو يقول :

ـ ربّاه !.. لقد غيّروا موضع مركز التحكُم .

وتدحرج على الأرض مرة واحدة ، قبل أن يرقد على بطنه ، ويعاود إطلاق أشعته على الآلى فى غزارة ..

وفى هذه المرة ، اخترقت أشعته ذراعى الآلى وساعديه ..

ولم يسقط صاحب الوجه الثلجى ، وإنما تألّقت عيناه بذلك البريق الأزرق ..

وفى سرعة ، وبمبادرة مباغتة ، استلّ الشرطى المتبقّى مسدسه الليزرى ، وصاح فى صرامة :

ـ إنك تجبرنى يا هذا .

وانطلقت أشعة مسدسه نحو عينى الآلى ، واخترقت العين اليمنى بالفعل ، ولكن الآلى استدار إليه فى سرعة ، وأطلق من عينه اليسرى حزمة من الأشعة الزرقاء ، انفجرت فى صدر الشرطى ، الذى أطلق صرخة عنيفة ، قبل أن يخرّ صريعًا .

ومرة أخرى ، انطلقت خيوط أشعة الليزر من مسدّس (نور) ..

واخترقت بطن الآلى وصدره .

كان من الواضح أن صانعيه قد غيّروا موضع مركز التحكّم فى حركته ، بعد أن انكشف أمره فى الليلة السابقة ..

وكان (نور) يقاتل لكشف الموضع الجديد ..

ولكنه فشل ..

وفى حركة سريعة عنيفة ، استدار نحوه الآلى ، وعينه اليسرى تتألّق بالبريق الأزرق المخيف ..

وبات من الواضح أن (نور) قد خسر معركته هذه المرة .

وأنه لم يعد لديه مفرّ من الموت ..

ولكن فجأة ، برز (أكرم) ، الذى ضرب (نور) فى كتفه ، ليلقيه بعيدًا ، وهو يصوّب مسدسه إلى الآلى ، صارخًا :

- جرب كعب (أخيل) يا رجل .

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، انطلقت الأشعة الزرقاء القاتلة من عينى الآلى ، وانطلقت الرصاصات من مسدس (أكرم) ، نحو كعبه ..

وأصابت الرصاصات هدفها ، فى حين وثب (أكرم) ، محاولاً تفادى الأشعة ، التى انفجرت فى كتفه ، مع فيض من دمائه ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها (أكرم) ، تألّقت عين الآلى فى شدة ..

ثم انفجر ..

انفجر وتحوّل فى لحظة واحدة إلى شظايا مشتعلة ، تطايرت فى مساحة واسعة ، قبل أن يصرخ (نور) :

- يا إلهى !.. (أكرم) !

قالها ، وقفز نحو زميله ، الذى سقط أرضًا ، غارقًا فى دمه ، وحاول أن يفحصه فى سرعة ، قبل أن يهتف :

- إنه فاقد الوعى ، وجروحه تنزف بشدة .. استدعوا سيارة إسعاف بالله عليكم .. أسرعوا ..

وراح صوته يعلو ويعلو فى المكان ، الذى اكتظ بأكوام من السيارات المحطّمة ، وإن خلا من البشر ..

خلا منهم تمامًا ، حتى أن هتاف (نور) راح يتردّد فى المنطقة بلا انقطاع ، دون أن يسعى لتلبيته شخص واحد ..

أى شخص ..

* * *

لم تكد المهندسة (نادرة) تلمح زوجها المهندس (وجدى) ، وهو يدلف بسيارته إلى حديقة المنزل ، حتى هرعت إليه ، هاتفة :

- (وجدى) .. حمدًا لله على سلامتك .. لماذا تأخّرت حتى هذه الساعة ؟!.. لقد سمعت صوت انفجار ، أصابنى بقلق شديد ، فاتصلت بمكان عملك ، ولكنهم أخبرونى أنك انصرفت فى موعدك !.. ماذا حدث بالضبط ؟

زفر فى إرهاق ، وهو يجيب :

- كان هناك ارتباك مرورى شديد ، بسبب بعض الاضطرابات ، التى حدثت فى وسط المدينة ، وبعدها

استغرق الأمر فترة طويلة ، لإعادة تنظيم الموقف ، خاصة وقد اضطرت حوامة إسعاف للهبوط فى المكان .

قالت فى توتر :

- حوامة إسعاف ؟!.. كان هناك مصابون إذن ؟

هز كتفيه ، قائلا :

- بالتأكيد .

ثم تلفت حوله ، وهو يحل رباط عنقه ، قائلاً :

- ولكن أين (أحمد) ؟

عاونته على خلع سترته ، وهى تجيب :

- فى حجرته .. إنه لم يغادرها طوال اليوم .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

- عجبًا !.. وما الذى يفعله هناك ؟

ضحكت قائلة :

- يقول إنه منهمك فى اختراع لعبة جديدة .

ردد فى دهشة ، وهو يتجه نحو حجرة ابنه :

- لعبة جديدة ؟!..

ودلف إلى حجرة الصغير ، قائلاً :

- (أحمد) .. لماذا لم تأت لتحية والدك ؟

هتف الصغير فى فرح :

- أبى .. هل وصلت ؟

وقفز يتعلق بعنقه ، فى حين حدق هو فى الأشياء المتصلة ببعضها أمامه ، وهو يقول فى دهشة :

- ما الذى تفعله بالضبط يا (أحمد) ؟

أجابه الصغير فى حماس :

- لعبة جديدة .

أنزله والده فى رفق ، ثم اتجه إلى حيث يعمل ابنه ، وراح يفحص تلك الأشياء ، والأسلاك التى اتصل بعضها ببعض ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- وما هذه اللعبة بالضبط ؟

بدت الحيرة على وجه (أحمد) ، وهو يجيب :

- إنها لعبة جميلة .

سأله والده فى شىء من الحزم :

- وما فائدتها بالتحديد ؟

شردت عينا الصغير ، وبدت حيرته أكثر وضوحًا ، مع إجابته الخافتة :

- مجرد لعبة جميلة .

وضحكت أمه ، وهى تشير بيدها ، قائلة :

- لقد استعار جهاز الراديو الصغير ، ويقول : إنه سيوصل كل هذا فى النهاية بجهاز (الميكروويف)(*) .

(*) الميكروويف : نوع من أفران الطهى الحديثة ، يعتمد على إطلاق موجات إشعاعية بالغة الصغر وفائقة السرعة ، وتحويلها إلى طاقة حرارية ، تخترق الأجسام بسرعة بالغة ، وتنجز أعمال الطهى فى دقائق معدودة .

انعقد حاجبا المهندس (وجدى) فى شدة ، وهو يغمغم :

- (الميكروويف) ؟!

ضحكت الأم ثانية ، وهى تقول :

- إنه يحاول تقليدك ، ويتصوّر أنه مخترع صغير .

التفت إليها ، قائلا :

- إنه كذلك بالفعل .

هزّت كتفيها ، قائلة :

- لا تبالغ يا عزيزى .. الصبى يلهو فحسب .

أجابها فى حزم :

- فى هذه الحالة ، يكون هذا أعقد لهو شاهدته ، فى حياتى كلها .

وأشار إلى الأشياء المترابطة أمامه ، مضيفًا :

- فهذه الأشياء ، التى اختارها فى عناية ، والطريقة التى أوصل بعضها ببعض بها ، وحديثه عن توصيل كل هذا بجهاز (الميكروويف) فى النهاية ، لا يمكن أن يعنى إلا أنه يدرك جيدًا ما الذى يصنعه ، أو يعتزم صنعه .

بهتت لحديثه وأسلوبه ، فتمتمت فى خفوت :

- وما الذى يعتزم صنعه بالضبط ؟

مال نحوها ، مجيبًا فى صرامة :

- جهاز اتصال قوى .. جهاز يصلح لبث نداء ما عبر الفضاء .

وتزايد ميله نحوها ، حتى شعرت بأنفاسه الحارة على وجهها ، وهو يضيف :

- وإلى ما وراء النجوم .

واتسعت عيناها فى دهشة وارتياع ؛ فقد كانت المفاجأة عنيفة ..

عنيفة للغاية .

* * *



٨ـ نبض الحياة ..

ألقى (نور) جسده فى تهالك شديد ، فوق الأريكة الكبيرة ، فى حجرة الانتظار ، فى المستشفى المركزى ، وزفر فى حرارة ، جعلت زوجته (سلوى) تميل نحوه مشفقة ، وهى تتمتم فى حنان :

ـ سينجو (أكرم) بإذن اللّه .. اطمئن .. لقد بذلت ما فى وسعك ، وأصبح الأمر الآن فى يد الأطباء ، وتحت رعاية اللّه (سبحانه وتعالى) .

أومأ (نور) برأسه ، قبل أن يقول فى مرارة :

ـ لقد أصيب ، وهو يحاول حمايتى .. يبدو أن فكرتى عنه كانت خاطئة تمامًا .

مسحت بيدها على شعره فى حنان ، وهى تهمس :

ـ أنت و (أكرم) تختلفان تمامًا فى طبيعة معالجتكما للأمور ، ولكن مما لا شك فيه أن كليكما يقدّر الآخر ويحترمه تمامًا ، ولا يتردّد لحظة واحدة فى التضحية بنفسه من أجله .

تنهّد فى عمق ، قبل أن يغمغم :

ـ هذا صحيح .

ثم ترك جسده يسترخى فى مجلسه ، وهو يتابع :

ـ ولكن الأمر مازال غامضًا ، وحدة العنف تتصاعد فيه تدريجيًا ، على نحو يملأ نفسى بالحيرة .

مسحت شعره مرة أخرى فى حنان ، مغمغمة :

ـ أنا واثقة من أنك قادر على التوصّل للتفسير .. إنك تفعلها دائمًا .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ التوصّل إلى استنتاج صحيح يحتاج إلى معطيات واضحة ، والأمور كلها مازالت غامضة مبهمة حتى الآن .

قالت فى اهتمام :

ـ ولكن لديك معلومات واضحة أيضًا .. ذلك الجسم ، الذى غيّر مساره ، حتى لا يرتطم بالمناطق المأهولة من العاصمة ، والآليون العمالقة ، والأماكن التى ظهروا فيها ، و ...

استوقفها بغتة ، قائلاً فى اهتمام :

ـ مهلاً .. كيف غفلت عن هذه النقطة ؟.. الأماكن التى ظهروا فيها لها دلالة حتمًا .

ثم اعتدل . مستطردًا :

ـ الآلى الذى كاد يقتلنا فى الأطلال ، توقّف بغتة ،

ويمم وجهه شطر جهة بعينها ، وكذلك الآخر فى المستشفى ، أما الثالث ، فقد ظهر فى نقطة محدودة وسط المدينة ، وكان من الممكن ألا يلحظه أحد ، لولا تعامله العنيف مع شرطى المرور .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسترجع مشهد ذلك الآلى فى الأطلال ، قبل أن يهبّ واقفا ، ويقول فى انفعال :

ـ بالتأكيد .. هناك نقطة ترسل إليهم إشارة ما ، وتجذب انتباههم بشدة ، وهى نفس النقطة التى يسعون إليها بالتأكيد ..

والتفت إلى (سلوى) ، مستطردًا فى حماس :

ـ أراهن على أن حل اللغز كله يكمن فى تلك النقطة .

تفاعلت معه فى حماس ، قائلة :

ـ ألم أقل لك ؟!.. أنت تستطيع التوصُّل إلى الحل دومًا .

ربّت على كتفها فى حماس ، قبل أن يندفع نحو الممرضة ، قائلاً :

ـ هل يمكننى استخدام جهاز الكمبيوتر هنا ؟

تردّدت الممرضة ، مغمغمة :

ـ الواقع أن هذا الكمبيوتر خاص بالمستشفى ، وليس من الـ ...

قاطعها فى حزم ، وهو يبرز هويته :

ـ أنا (نور الدين) ، من المخابرات العلمية ، وهذه حالة طارئة .

أفسحت له الممرضة الطريق فى سرعة ، قائلة :

ـ معذرة .. لم أكن أعلم هذا .. الكمبيوتر رهن إشارتك .

أسرعت أصابعه إلى لوحة الأزرار ، وراح يعمل عليها فى سرعة ، فارتسمت على الشاشة خريطة كبيرة للعاصمة الجديدة ، حدّد فوقها موقع الآلى الأوّل ، وسط الأطلال ، والاتجاه الذى تطلّع إليه تقريبًا ، وكذلك موضع الآخر فى المستشفى ، ثم موضع الآلى الأخير فى وسط المدينة .

وفى تلك اللحظة ظهرت (مشيرة) ، وهى تعدو عبر الممر ، هاتفة :

ـ ماذا أصاب (أكرم) ؟.. ماذا حدث ؟!

أسرعت إليها (سلوى) ، قائلة :

ـ اطمئنى يا (مشيرة) .. إنه بخير .. الأطباء يؤكدون أن إصاباته ليست فادحة ، وأنه سينجو .

صاحت (مشيرة) :

ـ إنهم يقولون هذا فى كل مرة ، ولكننى لم أعد أحتمل .. لم أعد أحتمل .

ثم ألقت نفسها بين ذراعى (سلوى) ، وانفجرت باكية فى حرارة ، فألقى عليها (نور) نظرة مشفقة ، ثم عاد يواصل عمله فى اهتمام استولى على كيانه كله ، وانهمك فى وضع بعض المعادلات ، قبل أن يتراجع ، ويراقب الشاشة فى انفعال واضح ..

وفى بطء ، راحت دائرة ترتسم حول جزء ما من العاصمة الجديدة ، ثم تمدّد هذا الجزء المستدير ، ليملأ الشاشة كلها ..

وانعقد حاجبا (نور) فى توتر شديد ..

فقد كانت تلك الدائرة ، التى يتطلّع إليها الآليون ، هى ذلك الجزء من العاصمة ، الذى يضم عدة منازل صغيرة ، بينها منزل يعرفه جيدًا ..

منزله ..

* * *

انتفضت المهندسة (نادرة) فى عنف ، وأطلقت صرخة فزع قصيرة ، وهى تهبّ من نومها ، على نحو جعل زوجها المهندس (وجدى) يقفز من الفراش ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟

أضاءت (نادرة) المصباح المجاور للفراش ، وهى تلهث فى شدة ، قائلة :

ـ كابوس .. كابوس فظيع .

ثم اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهتفت :

ـ (أحمد) .. أين (أحمد) ؟

قالتها وانطلقت تعدو نحو حجرة ابنها ، وزوجها خلفها ، يهتف :

ـ (أحمد) فى حجرته .. ماذا حدث ؟!

دفعت باب حجرة ابنها فى قوة ، وحدّقت لحظة فى الصغير المستغرق فى نوم عميق ، قبل أن تضع يدها على صدرها ، وتلهث قائلة فى انفعال :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أحاط زوجها كتفيها بذراعه ، وهو يسألها فى قلق :

ـ هل كان كابوسًا مفزعًا إلى هذا الحد ؟

تنهّدت ، وهى تومئ برأسها إيجابًا ، متمتمة :

ـ كان رهيبًا .

قادها فى رفق إلى حجرتها ، وهى تتابع :

ـ رأيت (أحمد) يلهو فى حديقة المنزل ، ويصنع من لعبه آلة ذات هوائى كبير ، وأنا أحذّره من إتلاف لعبه ، وفجأة ، ظهر ذلك الشئ .

توقّفت لتلهث فى انفعال واضح ، فسألها فى رفق حنون :



ـ صرخت ، وصرخت ، وصرخت .. ولكن قطعة الثلج الضخمة ابتلعت (أحمد) ..

ـ أى شىء ؟

لوّحت بيدها لحظات فى تردُد ، وكأنما تعجز عن وصف ما رأته ، قبل أن تلتقط أنفاسها فى شىء من الصعوبة ، وتقول :

ـ شىء أشبه بقطعة كبيرة من الثلج ، ذات أطراف حادة كالماس ، وفى داخلها ضوء أزرق نابض .

اتسعت عيناه فى ارتياع لم يخف عليها ، وهو يردِّد :

ـ ضوء أزرق نابض ؟!

ازدردت لعابها ، قبل أن تقول :

ـ نعم .. شىء بدا جميلاً فى البداية ، إلا أننى لم ألبث أن شعرت بالخوف منه ، وهو يزحف نحو (أحمد) ، الذى لم ينتبه إليه ، فصرخت أحذره ، ولكنه لم يسمعنى ، فى حين تضخَّمت قطعة الثلج ، وتضخَّمت ، ثم انقضت عليه .

انتفض جسدها فى عنف ، وهى تنطق عبارتها الأخيرة ، وانكمشت فى صدر زوجها ، وهى تتابع مرتجفة :

ـ صرخت ، وصرخت ، ولكن قطعة الثلج الضخمة ابتلعت (أحمد) ، الذى راح يصرخ ويستنجد بى ، وهى تحمله بعيدًا .. بعيدًا .

تفجّرت عيناها بالدموع ، وهى تردد ذلك الجزء الأخير ، فدفنت وجهها فى صدر زوجها ، الذى ضمّها إليه فى حنان ، وراح يربّت عليها مشفقًا ومهدئًا ، على الرغم مما يشعر به فى أعماقه من ارتياع ، لما سمعه منها ..

هذا لأنه - أيضًا - كان يحلم بقطعة من الثلج ، ذات أطراف حادة كالماس ..

وكان قلبها ينبض بضوء أزرق بارد ..

ومخيف ..

* * *

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يتطلّع إلى ما توصّل إليه (نور) ، على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يقول :

- تُرى ما الذى يجذب انتباههم إلى تلك البقعة بالتحديد يا (نوز) ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لست أدرى بعد يا سيّدى .. الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث والمعلومات ، ولكن من الواضح أن ذلك الشىء ، الذى يجذبهم ، له أهمية كبرى بالنسبة لهم ، حتى يفعلوا كل هذا .

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- أخشى ما أخشاه يا (نور) أن الأمر يقودنا تدريجيًا إلى استنتاجك الأوّل ، الخاص بفكرة الغزاة الفضائيين .

قال (نور) :

- من المؤسف أنه كذلك بالفعل يا سيّدى ، وربما كان من حسن حظنا أن كشفنا الأمر الآن ، قبل أن يتفاقم ، وتتعقّد الأمور أكثر ، ويصبح من المستحيل التصدّى لها .

تنهّد القائد الأعلى ثانية ، وهو يقول :

- إننا نبذل كل ما بوسعنا يا (نور) ، للبحث عن المحطة الأم ، التى أتت منها تلك السفينة الصغيرة ، وعلماؤنا يفحصون الشظايا ، التى تخلّفت عن انفجارها ، ولكن يبدو أنها معدّة بحيث يتم تدميرها كلية ، فى حالة سقوطها ، حتى لا يتم تعرّفها ، أو الاستفادة بما تحويه .

قال (نور) فى شىء من الضيق :

- هذا ينطبق على الآليين أيضًا للأسف .

ثم أشار بسبّابته ، مستطردًا فى اهتمام :

- ولكن ظهورهم على هذا النحو ، وتغيير موضع مركز التحكّم فيهم ، يوحيان بأن مركزهم الرئيسى هنا فى الأرض ، وبالقرب من العاصمة أيضًا .

ضرب القائد الأعلى سطح مكتبه بقبضته ، قائلا :

- ولكن أين ؟!.. أين ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- هذا هو السؤال يا سيّدى .. السؤال الذى قد يحوى حل اللغز كله ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

- لغز هذه الوجوه الثلجية ..

* * *

على الرغم من التوتر الشديد ، الذى ساد العاصمة الجديدة ، فى الليلة السابقة ، بدت تلك الليلة هادئة رتيبة ، أوى فيها الجميع - تقريبًا - إلى فراشهم مبكرًا ، لتعويض النوم الذى افتقدوه فى الليلة الماضية ، وخلت الشوارع ، أو كادت ، من السيارات والمارة ، مع اقتراب منتصف الليل ، فلم يعد المرء يلمح سوى سيارات النجدة ، وعدد قليل من رجال الشرطة المتجولين والمارة ..

ووسط هؤلاء وهؤلاء ، سار ذلك الرجل ..

رجل متوسّط القامة ، يسير فى خطوات هادئة حاسمة ، ويقطع شوارع العاصمة الجديدة ، فى خط مستقيم تقريبًا ، نحو بقعة بعينها ..

نفس البقعة ، التى حدّدها (نور) ..

لم تكن هيئته الخارجية تشبه أولئك الآليين ، الذين روّعوا الشرطة والمدينة ، فى الليلة السابقة ..

هذا لأنه متوسّط القامة ، وليس عملاقًا كالآخرين ، وعلى رأسه شعر أسود مجعّد قصير ، يجعله أشبه برجل مصرى عادى ..

فيما عدا نقطة واحدة ..

ذلك الوجه الجامد البارد ، الذى يخلو من أية لمحة من لمحات الحياة والمشاعر ..

ذلك الوجه ، الذى يبدو وكأنه مصنوع من ثلج ..

كان من الواضح أن هذا الطراز من الآليين يختلف عن سابقيه ..

والحقيقة أن الاختلاف لم يكن يقتصر على الشكل الخارجى فحسب ، وإنما يمتدّ إلى ما هو أعمق من هذا ..

إنه اختلاف فى التكوين العام ، والقدرات ، وحتى المناعة ..

إنه باختصار ، النسخة الوحيدة من النوع المتطوّر للغاية من الآليين ..

النوع الذى لا يتم استخدامه ، إلا عندما تتعقّد الأمور

تماما ، ولا يعود هناك مفرّ من المواجهة المباشرة الحاسمة ..

انه الطراز الأكثر قوة ..

وخطورة ..

وفى هدوء لا يجذب الانتباه ، واصل ذلك الآلى الأخير طريقه ، حتى بلغ البقعة المحدودة ، فدارت عيناه فيها ببطء ، وكأنما يحاول رصد شىء ما ، فلما عجز عن هذا ، اتجه نحو أحد المنازل ، ذات الحديقة الصغيرة ، فوثب يتجاوز السور القصير فى خفة ، ثم اتجه نحو كوخ صغير فى الحديقة ، فدلف إليه فى سرعة ، وأغلقه خلفه فى إحكام ، ووقف داخله ساكنا صامتا ، وآلاته كلها مترقبة متحفزة ، تنتظر إشارة ما ..

وتنتظر ..

وتنتظر ..

وتنتظر ..

* * *

فرك مساعد مدير المحطة الفضائية الأرضية عينيه فى إرهاق ، قبل أن يتطلّع إلى وجه (نور) ، قائلاً :

ـ أنا رهن إشارتك يا سيّد (نور) ، ولكن ألا يمكن تأجيل هذا الأمر إلى الصباح الباكر ؟!.. إنها الثالثة صباحًا ، ولم أذق طعم النوم منذ البارحة ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ يؤسفنى أن أحرمك النوم يا رجل ، ولكن الأمر جد خطير ، وأنا أيضًا لم أذق طعم النوم منذ صباح أمس ، وعلىّ أن أجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ، حول ذلك الجسم المشتعل ، الذى هوى على الأطلال ، كمحاولة لحل لغز سقوطه ، وإماطة اللثام عما يحيط به من غوامض .

تثاءب المساعد فى إرهاق ، ثم بذل جهده ليشدّ قامته ، ويقول :

ـ وما الذى ترغب فى معرفته بالضبط ؟

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ أريد مراجعة كل الشرائط المسجّلة ، التى واكبت الحادث .. الشرائط الخاصة بالرادار ، والراصد ، وأجهزة الكشف الحرارى ، والذبذبات السمعية .. كل شىء .

حاول المساعد أن يمنع تثاؤبه هذه المرة ، إلا أنه عجز عن هذا ، فترك نفسه يتثاءب فى قوة ، قبل أن يقول :

ـ سأضعها تحت يديك ، ولكنك لن تجد ما يفيدك فيها ، فلقد راجعتها بنفسى أكثر من مرة ، ولم يلفت

انتباهى سوى أمر واحد ، أدركت بعد استعراضه عدة مرات ، أنه لا يساوى ما يستحق الاهتمام .

سأله (نور) :

ـ أى أمر هذا ؟

لوّح الرجل بسبابته ، مجيبًا :

ـ الأفضل أن تراه بنفسك .

وقاده إلى حجرة حفظ الشرائط المسجّلة ، وأدار الشريط الخاص بالراصد ، وهو يقول فى هدوء :

ـ القمر الصناعى الدفاعى الجديد أطلق أشعته على ذلك الجسم ، وأصابه فى الفضاء الخارجى ، ومن الطبيعى أن تنفصل عنه عدة شظايا صغيرة ، فى أثناء سقوطه .

كان يتحدّث ، والشاشة تعرض المشهد فى وضوح ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهتف :

ـ مهلاً .. أعد عرض هذا الجزء ، وارفع درجة تكبير المشهد إلى أقصى حد ممكن .

ابتسم المساعد ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ نفس ما فعلته أنا .

تابع (نور) المشهد فى اهتمام بالغ ، مع تكرار

عرضه مكبّرًا على الشاشة ، وتعلّق بصره بتلك البقعة الزرقاء الصغيرة ، التى انفصلت عن الجسم ، فور تعديل مساره ، وسقطت وحدها فوق (القاهرة الجديدة) ، وأشار بيده فى حزم ، قائلاً :

ـ أوقف المشهد .

ضغط المساعد زر الإيقاف ، وهو يقول فى شىء من الضجر :

ـ إنها مجرّد شظية عادية ، و ...

قاطعه (نور) بإشارة صارمة من يده ، قائلاً :

ـ اصمت .

لم يرق هذا الأسلوب للرجل ، فانعقد حاجباه فى غضب ، وتراجع فى مقعده صامتًا ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، فى حين اقترب (نور) بوجهه من شاشة الكمبيوتر الكبيرة ، وراح يتطلّع إلى ذلك الجسم الصغير فى اهتمام بالغ ، قبل أن يتراجع ، قائلاً فى حزم ، وبلهجة آمرة قوية :

ـ أريد إرسال نسخة من هذا الشريط إلى إدارة أبحاث الفلك والفضاء ، وقل لهم : إننى أريد تحديد موقع سقوط تلك الشظية الصغيرة بمنتهى الدقة ، وأرسل نسخة أخرى إلى الدكتورة (هناء حمّاد) ، فى مركز

الأبحاث التابع للمخابرات العلمية ، وسأجرى أنا اتصالى بها ، لأخبرها بما ينبغى أن تفعله بالضبط .

ثم أشار بيده إلى الشاشة ، مستطردًا :

ـ فأنا واثق من أن هذه الشظية الصغيرة تحمل لنا الكثير .. الكثير جدًا ..

قالها ، دون أن يدرى أن تلك الشظية الصغيرة ، كانت تستعد ، فى هذه اللحظة ، للقيام بخطوة حاسمة ، من شأنها تعريض سلامة الأرض كلها لخطر داهم ..

وبلا حدود .

* * *



٩ ـ إشارة الخطر ..

لم تشعر المهندسة (نادرة) بالارتياح أبدًا ، وهى تستيقظ فى ذلك الصباح ، بعد ذلك الأرق العنيف ، الذى أصابها طيلة الليل ، وتنهَّدت فى إرهاق ، وهى تغادر فراشها ، وتتجه إلى المطبخ ، لإعداد طعام الإفطار لزوجها وابنها ..

لم يكن ذلك الكابوس قد فارقها قط طوال الليل ..

لقد ظلّت ترى قطعة الثلج ، ذات الضوء الأزرق فى قلبها ، وكأنها تصرّ على احتلال كل مساحة الأحلام لديها ..

وفى الربع الأخير من الليل ، خُيِّل إليها أن قطعة الثلج هذه تتحدث إليها ..

بل وتلقى إليها ببعض الأوامر ..

وتنهَّدت وهى تستعيد ذكرى تلك الكوابيس الرهيبة المتصلة ، و ...

وفجأة ، سرت فى جسدها قشعريرة باردة ، وهى تحدِّق فى نقطة ما من مطبخها ، قبل أن تهتف :

ـ ربَّاه !.. (الميكروويف) .

لم يكن الفرن الصغير فى موضعه المعتاد ، الذى حدّقت فيه بدهشة شديدة ، قبل أن تقفز إلى ذهنها فكرة عجيبة ، جعلتها تندفع إلى حجرة ابنها ، هاتفة :

ـ (أحمد) .. (أحمد) .

ودفعت باب حجرته فى عنف ، قبل أن تطلق شهقة دهشة وفزع ، وترفع يدها إلى شفتيها فى حركة حادة متوترة ..

ففى منتصف الحجرة تمامًا ، كان (أحمد) الصغير يجلس أمام تلك الأجهزة ، التى أوصل بعضها ببعض ، منهمكًا فى توصيل آخر طرفين من الأسلاك بجهاز (الميكروويف) ..

وعندما اقتحمت أمه الحجرة ، التفت إليها فى هدوء ، قائلاً بابتسامة بسيطة :

ـ صباح الخير يا أمى .. لقد انتهيت تقريبًا من إعداد لعبتى الجديدة .

غمغمت ذاهلة :

ـ لعبتك ؟!

ووقفت تحدّق فيما يفعله لحظات مشدوهة ، وهو ينتهى من توصيل آخر سلك ، قبل أن تقول فى عصبية ، وبصوت متوتر مبحوح :

ـ كيف حملت فرن (الميكروويف) إلى هنا ؟

ابتسم ، قائلاً فى بساطة :

ـ لم يكن هذا صعبًا .

استرجع ذهنها بسرعة وزن الفرن ، وقارنته بقدرات الصغير المتواضعة ، وهى تكرّر ذاهلة :

ـ لم يكن ماذا ؟

لم يبد على صغيرها الاهتمام بانفعالاتها ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلاً فى حماس واضح :

ـ انظرى يا أمى .. ستروق لك لعبتى كثيرًا .

اتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تتابع تلك المعادلات المعقّدة ، التى تتراص على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يضغط (أحمد) زر جهاز التحكّم عن بعد ، مضيفًا :

ـ ستبدأ عملها على الفور .

ومع ضغطته ، اشتعل جهاز (الميكروويف) ، وراح الراديو يطلق ذبذبة منغومة ، فى حين حملت شاشة الآلة الحاسبة الصغيرة عدة أرقام ، تتابعت فى سرعة مدهشة ، و ...

وفجأة ، انقضّت (نادرة) على جهاز (الميكروويف) ، وانتزعت الأسلاك التى توصله بالمجموعة ، هاتفة :

ـ كفى ؟!

استدار إليها (أحمد) بنظرة غاضبة مخيفة ، جعلتها ترتجف من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ..

ولثوان ، خُيل إليها أن هذا ليس ابنها الذى أنجبته ..

ليس (أحمد) الصغير اللطيف البرىء ..

لثانية أو أكثر ، بدت لها ملامحه رهيبة مخيفة ، كما لو أنه رجل ناضج شرير ، لا يعرف الرحمة أو الشفقة .

رجل أطلّت من عينيه قسوة وشرور وغضب الدنيا كلها ..

ثم فجأة ، تلاشى كل هذا ، واستعاد الصغير ملامحه الطفولية البسيطة ، وهو يهتف معترضًا :

ـ أماه .. إنك تفسدين لعبتى .

تطلّعت إليه أمه فى دهشة ، ضاعفها شعورها بثقل جهاز (الميكروويف) بين يديها ، قبل أن تقول فى حدة :

ـ لن أسمح لك بإكمال هذه اللعبة !.. هل تفهم ؟.. لن أسمح لك بهذا أبدًا .

هتف معترضًا :

ـ ولكنك وعدت .

صاحت غاضبة :

ـ قلت لا .. لا .. لا .

قالتها ، واندفعت عائدة إلى المطبخ ، فمطّ الصغير شفتيه فى غضب طفولى ، وهو يقول :

ـ لقد أفسدت الأمر .. لم أرسل سوى جزء ضئيل من الإشارة فحسب .

نطقها ، دون أن يدرى عقله الصغير أن هذا الجزء الضئيل من الإشارة قد فعل الكثير ..

الكثير جدًا ..

* * *

استقبلت (سلوى) زوجها (نور) فى الصباح الباكر ، بلهفة حقيقية ، وهى تسأله فى قلق واضح :

ـ أين كنت طيلة الليل يا (نور) ؟!.. لقد شعرت بقلق شديد لغيابك ، خاصة وأنك لم تتصل لتفسير هذا الغياب ؟

ألقى (نور) جسده المجهد على أوّل مقعد صادفه ، وهو يقول :

ـ آسف يا عزيزتى .. لم أقصد أن أكون فظًا ، ولكن الأمر استغرقنى طوال الوقت ، فلم أنتبه إلا مع شروق الشمس .

وفرك عينيه فى إرهاق ، قبل أن يسند ظهره إلى مسند المقعد ، ويسألها مسبلاً جفنيه :

- كيف حال (أكرم) ؟

أجابته ، وهى تجلس إلى جواره فى رفق :

- فى خير حال .. لقد ضمدوا جراحه ، واستعاد وعيه جزئيًا ، ولكن الأطباء يصرّون على ضرورة بقائه تحت الملاحظة ، لأربع وعشرين ساعة أخرى ، قبل عودته إلى منزله .

تمتم فى تهالك :

- حمدًا لله .

مالت نحوه ، تطبع قبلة حانية على خده ، قبل أن تسأله :

- كيف كانت ليلتك ؟

تنهّد ، مجيبًا :

- مرهقة للغاية .. لقد قضيتها كلها أتنقّل من مكان إلى آخر ، وأحاول ربط أجزاء اللغز بعضها ببعض ، كما يفعل الأطفال بلعبة (البازل)(*) .

(*) البازل : لعبة للأطفال والكبار ، عبارة عن لوحة بمقاييس مختلفة ، يتم تقطيعها إلى قطع صغيرة غير منتظمة ، وتوزيعها على نحو عشوائى ، ويتعيّن على اللاعب إعادة تجميع اللوحة ، فى أقصر وقت ممكن .

سألته فى اهتمام :

- وهل توصّلت إلى شىء ما ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، مغمغمًا :

- إلى حد ما .

ثم سألها ، وهو يسترخى فى مقعده أكثر :

- وماذا عن ليلتك أنت ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

- أصابنى الأرق لغيابك ، فرحت أعمل فى برنامجى الجديد ، الخاص بتتبّع الذبذبات الفائقة ، بنسبة خطأ لا تتجاوز الواحد فى الألف .

سألها مبتسمًا فى تهالك :

- وهل أنجزت الكثير ؟

نهضت إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

- لقد انتهيت منه تقريبًا .

وضغطت أزرار الجهاز ، ثم أوصلته بآخر أشبه برادار صغير ، مضيفة :

- وعندما يبدأ عمله الآن ، يمكنه التقاط أية ذبذبة فائقة ، فى دائرة نصف قطرها ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، انطلق من الجهاز أزيز قوى ، ودار الرادار الصغير فى حركة حادة لزاوية محدودة ، ثم توقّف كل هذا بغتة ، فهتفت (سلوى) :

ـ ربّاه !.. هذا مستحيل !

نفض (نور) عن نفسه كل الإرهاق والخمول بغتة ، واستنفر ما تبقّى من نشاطه ، وهو يهبّ من مقعده ، قائلاً :

ـ ماذا حدث يا (سلوى) ؟

أشارت إلى الكمبيوتر فى دهشة ، قائلة :

ـ جهازى التقط ذبذبة فائقة القوة ، دامت للحظات معدودة ، ثم انقطعت بغتة .

سألها فى اهتمام :

ـ وما مدى قوتها بالضبط ؟

التفتت إليه مبهورة ، وهى تجيب :

ـ إنها قوية للغاية يا (نور) .. قوية بما يكفى للاتصال بما وراء النجوم .

انعقد حاجباه فى شدة ، وانطلق عقله يعمل بأقصى قوته ، وهو يكرّر :

ـ الاتصال بما وراء النجوم ؟!

لوّحت بكفيها ، وهى تقول فى حيرة أكبر :

ـ المدهش حقًا أن البيانات التى سجّلها الكمبيوتر ، تشير إلى أن هذه الذبذبة قد انطلقت من مكان قريب للغاية .

استمع إليها (نور) ، وحاجباه يزدادان انعقادًا ، وعقله يصرخ بألف فكرة ..

ألف فكرة ، اشتركت كلها فى معنى واحد ..

أن الخطر صار قريبًا ..

قريبًا للغاية ..

* * *

قضى الآلى الأخير فترة طويلة صامتًا ساكنًا ، داخل ذلك الكوخ الصغير ، فى انتظار أى تغير طارئ ، أو أوامر مباشرة من صانعيه ..

ولم يكن هذا يعنيه كثيرًا ، فبرنامجه الجامد الجاف لم يكن يحوى أية معادلات خاصة بالملل أو الضجر ..

لم تكن هناك قيمة للوقت بالنسبة له ..

ولا لحياة البشر ..

ثم إنه آخر الرجال الآليين ، فى جعبة صانعيه .. وأفضلهم ..

ومن الطبيعى ألا يخاطر بإعلان وجوده ، إلا فى اللحظة الحاسمة ..

ومهمته لا تبدأ ، إلا عندما تتحدّد هذه اللحظة الحاسمة ..

ولكن فجأة ، التقطت أجهزته إشارة قوية ..

ذبذبة فائقة ، انطلقت لحظات معدودة ، ثم توقفت بغتة ، قبل أن تكتمل ..

وكانت هذه الذبذبة تعنى له الكثير ..

وبسرعة ، انطلقت أجهزته تعمل بكامل طاقتها ، فى محاولة لتحديد الموقع ، الذى انطلقت منه الإشارة ..

ولكن الانقطاع السريع للذبذبة ، لم يمنحه المعلومات الكاملة ..

كل ما أدركته أجهزته ، هو أن الموقع قريب ..

قريب للغاية ..

وأن الدائرة التى تم تحريرها مسبقًا تنكمش ، ويقلّ نصف قطرها تدريجيًا ..

ولكن هذا لا يمنحه الحق فى التحرُّك الآن ، طبقًا لبرنامجه ..

لذا فقد ظلّ فى موقعه هادئًا ، ينتظر لحظة الحسم ..

ولحظة الانطلاق ..

* * *

تساءلت (سلوى) فى دهشة عن سر تلك الموهبة العجيبة ، التى يتمتّع بها زوجها (نور) ، والتى تمنحه القدرة على تجاهل متاعبه وآلامه ، واستعادة الكثير من نشاطه ، إذا ما واجهه أمر يستحق اهتمامه ، وهو

يجلس إلى جوارها ، أمام شاشة الكمبيوتر ، ويسألها فى اهتمام :

ـ ألا يمكنك تحديد النقطة ، التى انطلقت منها تلك الذبذبة القوية ؟

أجابته ، وهى تضرب أزرار الكمبيوتر فى حماس :

ـ ليس بدقة تامة يا (نور) ، ففترة الاستقبال كانت صغيرة للغاية ، ولم تسمح للجهاز بجمع المعلومات اللازمة .

ثم أشارت إلى الشاشة ، مستطردة :

ـ ولكن المصدر قريب بالتأكيد .

عاد حاجبا (نور) ينعقدان فى شدة ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء ، ويداعب ذقنه بسبّابته وإبهامه ..

الآن تأكّد ذلك الشعور ، الذى ملأ كيانه لفترة طويلة ..

هناك أمر ما فى الجوار ..

أمر تتركز عنده كل المعلومات والنقاط ..

هدف ، يسعى إليه الجميع ..

انتزعه فجأة أزيز هاتف الفيديو من شروده ، فضغط زر الاتصال المرئى بحركة سريعة ، قائلًا :

ـ هنا (نور) .. من المتحدّث ؟

ظهرت صورة (هناء) على الشاشة ، وهى تقول :

ـ صباح الخير يا (نور) .. المفترض أن أعاتبك على دفعهم لإيقاظى فى الخامسة صباحًا ، لأفحص الشريط الذى أرسلته ، ولكنك كنت على حق تمامًا ، فتلك لم تكن شظية عادية ، وإنما عثرت فيها على أمور بالغة الخطورة .

أجابها فى سرعة :

ـ هذا الحديث لا يصلح عبر هاتف الفيديو .. سآتى إليك على الفور .

وأنهى الاتصال ، وهو يقول لزوجته فى حزم :

ـ واصلى المحاولة ، فتحديد الموقع بدقة أمر حيوى للغاية .

غمغمت :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى .

غادر المنزل فى سرعة ، وقفز داخل سيارته الجديدة ، وانطلق بها على الفور إلى مركز الأبحاث ، وعقله يعمل بسرعة الصاروخ ..

كان من الواضح أن ذلك الشىء ، الذى انفصل عن سفينة الفضاء الصغيرة ، قبل ارتطامها بالأرض ، هو المسئول عن كل ما يحدث ..

وهو الهدف ، الذى يسعى إليه الآليون ..

ولكن ما ماهيته بالضبط ؟!..

أهو شىء أشبه بالصندوق الأسود ، الذى تزوَّد به الطائرات ، لتسجيل خط سيرها ، وكل ما تتلقاه أو ترسله خلال رحلتها ، من إشارات ومعلومات وتعليمات ؟!

أم أنه سلاح ما ؟!

وأيًا كانت ماهيته ، فهو شىء بالغ الأهمية والخطورة بالتأكيد ..

ظلَّت الأفكار تدور وتدور فى رأسه ، وهو يتجه إلى مركز الأبحاث ، ولم يتوقَّف تدفقها إلا عندما استقبلته (هناء) فى معملها ، وهى تقول :

ـ (نور) .. هل تذكر ذلك النوع من الحياة ، الشبيه بالأحماض الأمينية والفيروسات ، والذى عثرنا على آثار منه ، فى شرائط الفحص الإشعاعى الفائق ، للسفينة الفضائية الصغيرة ؟

أجابها فى اهتمام :

ـ بالطبع .. أله صلة بتلك الشظية ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وأشارت بسبابتها ، قائلة فى حزم :



التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستوعب هذه الحقيقة الجديدة ..

ـ صلة مباشرة للغاية .

وقادته إلى جهاز الكمبيوتر ، وهى تشير إلى شاشته ، مستطردة :

ـ لقد أجريت التحليل الطيفى الجينى لتلك الشظية ، فأتى مطابقًا تمامًا لتحليل بقايا السفينة ، مع اختلاف جوهرى للغاية .

ولمست الشاشة بسبابتها ، مضيفة بلهجة حاسمة :

ـ فذلك الشىء ، الذى غادر السفينة مازال حيًا .

اتسعت عيناه ، وهو يميل نحو الشاشة ، هاتفًا :

ـ حقًا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا فى حزم ، قائلة :

ـ نعم يا (نور) .. حتى هذه اللحظة التى غادر فيها ذلك الشىء السفينة ، كان حيًا يرزق ، ولكننى لست أدرى ما الذى يمكن أن يكون عليه الآن .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستوعب هذه الحقيقة الجديدة ..

إذن ، فالشىء الذى يبحث عنه هؤلاء الآليون ، ليس صندوقًا أسود ، أو سلاحًا جديدًا ..

إنه كائن حى ..

كان يحمل صفات أشبه بالفيروسات ، ولكن له من

الأهمية ما يستحق القتال من أجل استعادته ، بكل هذا العنف والإصرار ..

ولكن ، حتى مع هذه المعلومة ، مازالت هناك فجوة ، تعوق قدرته على الاستنتاج ..

فجوة لا يشعر معها بالارتياح أو الاستقرار ، وهو يراجع التفاصيل كلها فى ذهنه مرات ومرات ومرات ..

فجوة ، جعلته يسأل (هناء) فى اهتمام :

- ألا يوجد أى تشابه مطلقًا ، بين تلك الصورة من صور الحياة ، والأخرى التى تم تحديدها ، داخل السفينة الصغيرة ؟

هزّت رأسها نفيًا فى حسم ، مجيبة :

- إنهما صورتان مختلفتان تمامًا من صور الحياة .

أضاف عقله تلك المعلومة إلى ما لديه من معلومات ، وراح يعتصر خلاياه البيضاء والرمادية ، فى محاولة للتوصُّل إلى حل ما ، و ..

وفجأة ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فانتزعه من حزامه ، قائلاً :

- هنا (نور) .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت أحد أفراد فريق الطوارئ ، وهو يقول :

- حدث هجوم آخر يا سيّدى .

هتف (نور) فى انفعال :

- هجوم آخر ؟!.. وأين ظهر هذا الآلى الجديد ؟

أجابه الرجل متوترًا :

- لا يوجد آليون هذه المرة يا سيّدى .. إنه هجوم فضائى .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يهتف :

- هجوم فضائى ؟!

أجاب الرجل فى سرعة :

- نعم يا سيّدى .. هجوم فضائى على هدف عجيب .

وعندما أفصح الرجل عن الموقع ، الذى تعرّض للهجوم الفضائى الغامض ، اتسعت عينا (نور) فى دهشة كبيرة ..

لقد كان الرجل على حق تمامًا ..

فالهجوم الفضائى استهدف موقعًا عجيبًا ..

عجيبًا بحق ..

* * *



١٠ - المواجهة ..

« ماذا ؟!.. مزرعة أبقار ؟!.. »

هتفت (مشيرة) بالعبارة فى دهشة عارمة ، ارتسمت على ملامحها لحظة ، قبل أن تنفضها عنها فى سرعة ، وتستعيد حزمها كرئيسة عمل ، قائلة :

- خذ فريق التصوير ، واتجه إلى هناك على الفور .. أريد كل الوقائع ، والتفاصيل ، وأقوال شهود الواقعة ، ورجال الشرطة .. كل شىء .. كل شىء .

وأنهت الاتصال فى توتر واضح ، فالتفت إليها (أكرم) ، وهو يرقد على فراشه بالمستشفى ، يسألها فى اهتمام :

- ماذا حدث ؟

لوّحت بيدها ، مجيبة :

- لن تصدّق هذا أبدًا .. لقد ظهرت سفينة فضاء مجهولة الهوية فى سمائنا ، وهاجمت مزرعة للأبقار ، وخرج منها مخلوقان فضائيان ، نسفا ستة أبقار ، قبل أن يعودا إلى سفينتهما ، التى انطلقت هاربة ، واختفت فى السماء ، قبل أن تلحق بها المقاتلات الحربية .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

- مزرعة أبقار ؟!.. هل أتوا من كوكبهم لقتل أبقارنا فحسب ؟

هزّت رأسها ، قائلة :

- الأمر مثير للحيرة تمامًا ، فقد يمكننى فهمه واستيعابه ، لو أنهم اختطفوا تلك الأبقار ، بحجة دراسة تركيبها التشريحى مثلًا ، ولكن أن يكتفوا بنسفها ، فهذا ما لا أفهمه أبدًا .

مطّ شفتيه ، وهو يقول :

- العمل مع (نور) علمنى أن لكل شىء تفسيرًا منطقيًا ، مهما بدا الأمر مخالفًا لهذا .

قالت ساخرة :

- إذن فهناك تفسير منطقى لقتل الأبقار .

أجابها فى جدية :

- حتمًا ، فأولئك الأغراب لن يقطعوا ملايين الكيلومترات فى الفضاء ، ليقتلوا أبقارنا فحسب .

ثم استطرد فى عصبية مباغتة :

- ولكن الشىء غير المفهوم بالفعل ، هو أن أرقد فى هذا الفراش اللعين ، كالمسنين والشيوخ ، وأترك الآليين القتلة يجوبون الشوارع ، دون رادع .

قالت فى توتر :

ـ الأطباء يصرون على بقائك هنا تحت الملاحظة ، و (نور) يتولى الأمر الآن .

قال فى حدة :

ـ أمن المفترض أن أصفق إعجابًا ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ بل من المحتم أن تطيع أوامر الأطباء وتعليماتهم .

هتف فى صرامة :

ـ هراء .. لو أننى بقيت فى فراشى ، وتركت (نور) يقاتل وحده ، سأستحق عن جدارة الانضمام إلى تلك الأبقار فى مصيرها .

ومطّ شفتيه مستطردًا :

ـ على الأقل ، سأموت على يد غرباء من كوكب آخر .. يالها من شهرة !

قالها ، وصوته يحمل موجة من الغضب .. كل الغضب ..

* * *

أطلّ الفزع واضحًا ، من ملامح مسئول أمن المزرعة ، وهو يصف لـ (نور) ما حدث ، قائلا :

ـ كنا نتابع إجراءات الأمن المعتادة ، عندما ظهرت تلك السفينة الفضائية الصغيرة فى السماء بغتة ، كما لو أنها نشأت من العدم ، وفوجئنا بها تهبط وسط الأبقار ، التى انتابها الفزع ، فراحت تجرى فى كل مكان ، وخاصة عندما هبط هذان الكائنان .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ صفهما لى بمنتهى الدقة .

راح الرجل يلوّح بذراعيه فى الهواء ، وهو يتمتم بكلمات مبهمة ، وكأنما اختلط عليه الأمر ، قبل أن يستجمع أفكاره ، ويندفع ، قائلاً :

ـ كانا صغيرى الحجم ، لهما جسدا طفلين صغيرين ، داخل ثوب ضيق أسود ، من قطعة واحدة تقريبًا ، ولكن رأسيهما كبيران نسبيًّا ، ويبدوان داخل خوذة رقيقة شفّافة .. عيونهما مائلة كاليابانيين وسكان جنوب شرق آسيا ، وليس لهما أنوف أو آذان .. فقط فم رفيع أشبه بشق بلا شفتين .

سأله (نور) :

ـ وما الذى فعلاه بالضبط ؟

توتر الرجل فى شدة ، وهو يستعيد تلك الذكرى ، قائلا :

- فى البداية ، أطلقا شعاعًا كبيرًا نحو الأبقار ، فتألقت ست منها بضوء أزرق باهت ، وأصابها شىء من الجنون ، فهاجمتهما فى شراسة عجيبة ، ليست من سمات الأبقار بالتأكيد ، ولكن هذين المخلوقين أطلقا أشعة أسلحتهما نحو الأبقار الثائرة بالتحديد ، فنسفتها نسفا .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ولماذا أصيبت تلك الأبقار الست بالذات بتلك الحالة من الجنون ؟

قلب الرجل كفيه ، وانحفر التوتر فى ملامحه ، وهو يجيب :

- ومن أدرانى ؟

كان (نور) يهمّ بإلقاء سؤال آخر ، عندما وصلت (هناء) ، وهى تقول :

- (نور) .. لدى ما يهمك بالتأكيد .

تبعها فى سرعة ، إلى الموقع الذى انسحقت فيه الأبقار الست ، وأشارت (هناء) إلى جهاز الفحص الخاص بها ، قائلة :

- انظر إلى الطيف الجينى ، الخاص بتلك الأبقار .

تطلّع (نور) إلى الشاشة ، التى حملت مجموعتين من الخطوط الطولية ، وقال فى قلق :

- ما الذى تعنيه هذه الخطوط بالضبط ؟

أشارت إلى المجموعة الأولى من الخطوط ، قائلة :

- هذه الخطوط تشير إلى التركيب الجينى للأبقار العادية .

ثم انتقلت سبابتها إلى المجموعة الثانية ، مستطردة :

- أما هذه الخطوط ، فأنا واثقة من أن تحديدها سيذهلك .

والتفتت إليه ، مضيفة فى حزم :

- إنها نفس الطيف الجينى ، الخاص بالكائن الفضائى شبه الفيروسى .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يسمع هذا ..

إنها معلومة جديدة ، تضاف إلى كل ما لديه من معلومات ..

معلومة تعنى الكثير حتمًا ..

ولكنها تضيف إلى اللغز نقطة غموض كبيرة ..

فكيف وصلت تلك المخوقات الفضائية شبه الفيروسية إلى الأبقار ؟!..

ولماذا ؟!..

ثم ما السر فى قضاء المخلوقات الأخرى عليها ؟!..

وفى أعماقه ، راحت تتكوَّن فكرة عجيبة معقَّدة ..

فكرة جعلته يتأكَّد من ضرورة البحث عن ذلك الكائن شبه الفيروسى ، الذى غادر سفينة الفضاء ، قبل ارتطامها بالأرض ..

وحتمية العثور عليه ، قبل أن تتطوَّر الأمور ، على نحو يستحيل التصدى له ..

لقد جعلته هذه الفكرة يتيقَّن أكثر وأكثر ، من أن الخطر صار قريبًا ..

ووشيكًا ..

* * *

استمع المهندس (وجدى) إلى زوجته فى دهشة بالغة ، ونقل بصره فى حيرة إلى جهاز (الميكروويف) ، مغمغمًا :

ـ ولكن كيف يمكن أن يتوصَّل عقله الصغير إلى هذا ؟

هزَّت (نادرة) رأسها نفيًا ، وهى تقول هامسة :

ـ لست أدرى .. لقد أصابنى الرعب ، عندما قرأت المعادلات ، التى كتبها على شاشة الكمبيوتر .. إنها

معادلات متقدِّمة للغاية ، يستحيل أن يستوعبها ، أو يدرك مغزاها طفل فى عمره .

ثم تلفَّتت حولها ، قبل أن تضيف مرتبكة :

ـ هل تعلم ؟.. لقد شعرت بالخوف منه ، ومما يمكن أن يفعله ؟

سألها فى قلق :

ـ وماذا عنه ؟!.. كيف كان رد فعله ؟

أجابته هامسة فى حذر :

ـ فى البداية ، كان رد فعله مخيفًا ، حتى أننى ارتجفت رعبًا ، ولكن فجأة استعاد انفعالاته الطفولية البسيطة ، ومازال يلهو ويلعب فى حجرته ، وكأنه نسى أمر (الميكروويف) والاختراع الجديد تمامًا .

غمغم (وجدى) فى قلق :

ـ أو أنه يتظاهر بهذا ؟

شهقت متراجعة فى هلع ، وهى تهتف :

ـ يتظاهر بهذا ؟!

انعقد حاجبا الأب ، وهو يجيب فى حزم :

ـ نعم .. وما المانع ؟!.. مادام يفكر بهذا الأسلوب المعقَّد .

تطلعت إليه لحظة فى ارتياع ، قبل أن تميل نحوه ، وتسأله فى توتر شديد :

- (وجدى) .. ما الذى تفكر فيه بالضبط ؟

تطلع إلى وجهها لحظة فى صمت ، ثم تنهد ، وتراجع فى مقعده ، مجيبًا فى بطء حذر :

- شىء ما يسيطر على عقل ابننا يا (نادرة) .

شهقت فى رُعب ، هاتفة :

- لا .. لا تقل هذا .

انعقد حاجباه ، وهو يجيب فى صرامة هذه المرة :

- هذا هو التفسير الوحيد يا (نادرة) ..

ثم نهض ، مستطردًا فى حزم :

- ومن الضرورى أن نعرف ما هذا الشىء ؟

سألته ، وجسدها كله ينتفض فى ارتياع :

- ماذا ستفعل ؟

أجابها فى صرامة :

- وماذا تعتقدين ؟.. سأواجهه بالطبع .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (أحمد) يلتقط العلبة المبطنة بالرصاص ، من تحت الفراش ، ويفتحها فى حذر ، هامسًا :

- ماذا أفعل الآن ؟.. إنهما يمنعانى من الحصول على (الميكروويف) .

راح الضوء الأزرق ، فى قلب قطعة الكريستال ، ينبض فى سرعة منتظمة ، وتألق على نحو عجيب ، انعكست معه الزرقة على وجه (أحمد) ، الذى راح يومئ برأسه فى اهتمام ، وكأنه يتلقى تعليمات محدودة ، قبل أن يقول :

- نعم .. نعم .. سأنتظر حتى يخلدا للنوم .

باغته صوت مفعم بالدهشة ، يقول :

- ستنتظر حتى ماذا ؟!

أغلق (أحمد) العلبة فى سرعة ، وهو يلتفت إلى والديه ، هاتفًا :

- أبى ؟!.. أمى ؟!.. لماذا لم تطرقا الباب ؟

اندفعت أمه نحو العلبة ، هاتفة :

- ما الذى تخفيه عندك ؟

فى حين صاح به أبوه :

- مع من كنت تتحدث ؟!

أبعد (أحمد) العلبة عن متناول يد أمه ، وهو يهتف فى صرامة ، لا تتناسب قط وسنوات عمره المحدودة :

ـ ابتعدى .

تجمّدت (نادرة) فى مكانها ، وشهقت هاتفة :

ـ (أحمد) .. ماذا تقول ؟!

انقلبت سحنة الصغير على نحو مخيف ، واستعاد تلك الملامح الصارمة الغاضبة ، وهو يقول فى حدة :

ـ إياك أن يمس أحدكما لعبتى .

اتسعت عينا الأب فى مزيج من الذعر والذهول ، فى حين تراجعت الأم فى هلع ، هاتفة :

ـ (أحمد) .. ماذا أصابك يا بنى ؟!

صاح الصغير فى غضب مخيف :

ـ اصمتى .

ثم تألّقت عيناه ببريق أزرق عجيب ، وشردتا بغتة ، وهو يردّد :

ـ نعم .. نعم .. سأفتح العلبة .

وفتح غطاء العلبة ، فتعلّق بصر الأب والأم بذلك البريق الأزرق ، الذى راح ينبض داخلها فى قوة ، وشهقت الأم ، هاتفة :

ـ ربّاه !.. ماذا يحدث يا (وجدى) ؟!.. ما الذى يفعله ؟!

سمع زوجها سؤالها فى وضوح ، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة ..

لقد كان عقله يتساءل فى هلع ، عما يمكن أن يعنيه ذلك النبض الأزرق ..

وبالتأكيد ، وعلى الرغم من كل ما دار بذهنه ، لم يخطر بباله قط أن ذلك النبض الأزرق قد أطلق إشارة خاصة ..

إشارة استقبلها الآلى الأخير فى مكمنه ، فنشطت أجهزته ، وحدّدت هدفها ، وأعلنت بدء المهمة ..

وعلى الفور ، تحرّك الآلى بوجهه البارد كالثلج ، ليؤدى مهمته ..

المهمة التى لن تنتهى ـ طبقًا لبرنامجه ـ إلا فى حالة واحدة ..

السيطرة التامة على كوكب الأرض ..

* * *

« تم تحديد موقع السقوط .. »

لم تكد أجهزة الكمبيوتر ، فى مركز أبحاث الفلك ، تعلن هذه النتيجة ، وتحدّد موقع سقوط ذلك الكائن شبه الفيروسى ، على خريطة العاصمة الجديدة ، حتى أسرع

مدير المركز يبلغ الأمر لـ (نور) ، الذى استقبله فى لهفة ، هاتفًا :

- أخيرًا .

ثم قفز إلى سيارته ، وهو يقول للدكتورة (هناء) فى حماس :

- لقد حدّدوا موقع سقوط ذلك الكائن .. أبلغى القيادة ، وليلحق بى الجميع هناك .

صاحت به ، وهو ينطلق بالسيارة :

- كن على حذر .. تلك الكائنات ليست هينة ..

لم يسمع عبارتها ، وهو ينطلق بالسيارة فى لهفة حقيقية ..

كان يتوق منذ البداية لهذه المواجهة ..

ولكن العجيب أنه الآن ، وبعد تحديد موقع السقوط ، يشعر بقلق قوى ..

إنه ليس الوحيد الذى يسعى خلف ذلك الكائن ..

هناك هؤلاء الآليون ..

وما خفى كان أعظم ..

وكعادته ، راح عقله يستعيد الأحداث كلها ، ويدرس كل النقاط والتفاصيل ، فى محاولة لتحليل الموقف ،

ووضع النقاط فيه فوق الحروف ، وحل غوامضه وألغازه ..

ولكن تلك الفجوة اعترضته ثانية ..

فجوة مازالت تثير توتره وحيرته ، كلما أعاد دراسة الأمر كله ..

ولكنه نفضها عن رأسه فى حزم هذه المرة ..

كان واثقًا من أن ما لديه ما زال يفتقر إلى معلومة ما ، فيها حل تلك الفجوة المقلقة ..

وكل الخيوط ستجتمع حتمًا ، إذا ما حصل على تلك المعلومة ..

ولكن هذا لم يعد هدفه الآن ..

المهم أن يصل إلى تلك النقطة ، التى هبط فيها ذلك الكائن شبه الفيروسى ..

وأن يصل إليها فى الوقت المناسب ..

والواقع أن النقطة الأخيرة بالذات كانت الأكثر خطورة ..

فهناك ..

فى منزل (أحمد) ..

كانت الأمور تزداد تعقيدًا فى كل لحظة ، فلقد هتف

المهندس (وجدى) فى ابنه ، وقد قفز إلى ذهنه خاطر مباغت ، عندما لمح البطانة الرصاصية للعلبة :

- أغلق العلبة يا (أحمد) .. أغلقها يا ولدى .

انطلقت من بين شفتى الصغير زمجرة مخيفة ، وهو يبعد العلبة ، هاتفا :

- لا شأن لكما بهذا .. إنها لعبتى ، وسأفعل بها ما يحلو لى .

صاح به والده فى غضب :

- قلت لك : أغلقها ..

وانقضّ عليه فى عنف ؛ لينتزع العلبة من يده ، إلا أن الصغير قفز إلى الخلف فى مهارة ، ثم حاول أن يضرب والده بالعلبة فى قوة ..

ولقد نجح فى هذا بالفعل ..

وأصابت العلبة الثقيلة رأس المهندس (وجدى) ، الذى أطلق صرخة ألم ، والدماء تتفجّر من رأسه ، قبل أن يسقط أرضًا ..

ولكن الضربة أيضًا أطاحت بقطعة الكريستال ، التى قفزت عبر الغطاء المفتوح ، وارتطمت بالأرض فى قوة ، ثم تدحرجت نحو النافذة ..

وفى ألم وتهالك ، صاح (وجدى) فى زوجته :

- حطميه .. حطمى ذلك الشىء .

حدّقت (نادرة) فى قطعة الكريستال لحظة فى ارتياع ، وهى تغمغم مذعورة :

- قطعة الثلج .. قطعة الثلج .

ثم حاولت أن تنتزع نفسها من ذعرها ، واندفعت نحوها محاولة تحطيمها ..

إلا أنها كانت قد فقدت أثمن لحظة فى الأمر كله ..

لقد تحرّك ابنها أوّلاً ، وقفز نحو قطعة الكريستال ، وهو يلتقط العلبة المبطّنة بالرصاص ، هاتفًا :

- إياك أن تمسّيها .

كان بإمكانها أن تدفعه جانبًا ، وتقفز لتلتقط القطعة قبله ، إلا أنها لم تجرؤ على فعل هذا بابنها ، وهى تقول بلهجة أقرب إلى البكاء :

- لماذا تفعل هذا يا ولدى ؟!.. لماذا ؟!

ولكن (وجدى) قفز يمسك قدم ابنه ، صارخًا :

- هذا لن يفيده .. حطمى ذلك الشىء اللعين ، وينتهى كل شىء .

سقط (أحمد) على وجهه ، وأطلق صيحة غاضبة ، ثم استدار ليهوى بالعلبة الثقيلة على وجه والده بكل قوته ..



لم يكد يطلق صرخته هذه ، حتى هوى ابنه بالعلبة المبطنة بالرصاص مرَّة ثانية على رأسه مباشرة ..

واتسعت عينا (نادرة) فى ارتياع ، عندما شاهدت تلك القوة ، التى طوَّح بها ابنها بالعلبة الثقيلة ، ورأتها ترتطم بأنف زوجها ، وتحطِّمه فى عنف ، فتتفجَّر منها الدماء فى غزارة ، ولكن قبضته تظلّ متشبثة بقدم ابنه فى استماتة ، وهو يصرخ :

ـ حطميه يا (نادرة) .. حطميه بالله عليك .

انتزعتها صرخته من ذعرها ، فاندفعت نحو الكائن شبه الفيروسى ، وانحنت لتلتقطه ، و ...

وانطلقت منها صرخة عنيفة ، جعلت زوجها يهتف :

ـ ماذا حدث ؟.. ماذا حدث يا (نادرة) ؟

صرخت مذعورة ، وهى تتراجع فى حدة :

ـ إنه بارد كالثلج .. بل أكثر منه برودة .. لا يمكننى حتى لمسه .

صرخ زوجها :

ـ استخدمى أى شىء لتحطيمه .

لم يكد يطلق صرخته هذه ، حتى هوى ابنه بالعلبة المبطنة بالرصاص مرة ثانية ، على رأسه مباشرة ، فصرخت (نادرة) ، عندما سقط رأس زوجها ، وتفجَّرت منه الدماء ، وهو يفقد الوعى تمامًا ، واتسعت عيناها

فى ارتياع ، عندما نهض ابنها بملامحه المخيفة ، واتجه نحو قطعة الكريستال ..

ثم فجأة ، تحطم باب المنزل ، ليبرز عنده ذلك الآلى الأخير ..

وهذا يعيدنا مرة أخرى إلى تلك النقطة الهامة ..

فوصول (نور) إلى المكان ، فى حد ذاته ، لم يعد مهمًا ..

المهم أن يصل فى الوقت المناسب ..

فى الوقت المناسب تمامًا .

* * *



١١ - الفزع ..

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، وهو يستقبل الدكتور (ناظم) فى مكتبه ، ويصافحه ، قائلا :

- لماذا غامرت بمغادرة المستشفى يا رجل ؟.. المفترض أن تظلَّ لفترة تحت الملاحظة !

لوَّح الدكتور (ناظم) بيده ، وهو يقول فى حزم :

- سأعود إليها فيما بعد ، لو اقتضى الأمر ، أما الآن فلا يمكننى ترك الموقف مشتعلا هكذا .

تنهَّد القائد الأعلى ، قائلا :

- صدقت يا دكتور (ناظم) .. إنه واحد من أكثر المواقف التى واجهناها سوءًا ، فالعالم كله تقريبًا مصاب بالفزع ، منذ وقع حادث مزرعة الأبقار ، ومن المؤسف أننا لم ننجح فى احتواء الموقف ، إذ لم يكد أصحاب المزرعة يعلنون عن الهجوم الفضائى ، حتى هرع إليهم الصحفيون ، وحاصرتهم وكالات الأنباء ، وانتشر الخبر فى دقائق معدودة ، وأنت تعلم كم تثير عبارة (هجوم فضائى) الذعر والفزع ، بسبب تجاربنا السابقة مع غزاة الفضاء .

جلس الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ أفضل وسيلة ، فى مثل هذه الظروف ، أن يتمَّ إعلان الحقيقة كاملة .

أشار القائد الأعلى بيده ، وقال وهو يبتسم فى مرارة :

ـ لقد فعلنا ، ولكن العجيب أن أحدًا لم يصدق ما أعلنّاه ، على الرغم من أنه يتفق مع أقوال شهود العيان ، بالنسبة لحادث المزرعة ، فالشعوب لم تصدّق أبدًا أن الموقف يقتصر على مقتل ست بقرات ، والجميع يصرّون على أننا أخفينا أعداد القتلى والمصابين من البشر .. بل ولقد تمادت بعض وكالات الأنباء ، فأطلقت على الحادث اسم (مذبحة المزرعة) .. قل لى : كيف يمكنك التعامل مع هذا ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .

ثم اعتدل ، ليسأل فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا فعل (نور) و (أكرم) حتى الآن ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ (أكرم) أصيب ، واضطر للانسحاب ، أما (نور) ، فقد توصّل إلى حقائق مدهشة ، وهو فى طريقه الآن

إلى منزل فى المنطقة السكنية الجديدة ، سقط فيه كائن حى عجيب ، من سفينة الفضاء ، قبل سقوطها فى منطقة الأطلال .

هتف الدكتور (ناظم) فى دهشة :

ـ كائن حى .. إلىّ بالتفاصيل بالله عليك .

روى له القائد الأعلى فى إيجاز ، كل ما لديه من معلومات ، فهتف الرجل :

ـ يا إلهى !.. هذا يعنى الكثير أيها القائد .. أجر اتصالك بـ (نور) على الفور ، واطلب منه بذل قصارى جهده ، للحفاظ على ذلك الكائن حيًا ، ولنرسل إليه فريقًا من مركز الأبحاث على الفور .

تردّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ هل تعتقد أن الحفاظ على كائن مجهول ، والإبقاء عليه حيًا ، يعد إجراءً حكيمًا ؟

قال الدكتور (ناظم) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. إنها فرصة نادرة ، لا يمكن تعويضها .. لا تتردّد أيها القائد .. هيا .. أصدر أمرك بالله عليك .

تردّد القائد الأعلى لحظة أخرى ، ثم قال فى حسم :

ـ فليكن .. أنت صاحب الرأى ، فى مثل هذه الأمور العلمية .

والتقط سمّاعة هاتفه الخاص ، ليصدر أوامره بالإبقاء على ذلك الكائن حيًا ، دون أن يدرى أن هذه الأوامر بالذات قد تؤدى إلى كارثة ..

كارثة رهيبة ..

* * *

تراجعت المهندسة (نادرة) فى رعب هائل ، أمام ذلك الآلى ، ذى الملامح الباردة ، والوجه الجامد المخيف ، الذى قدّ من ثلج ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، فلم تستطع حتى إطلاق صرخة فزع ..

أما ابنها (أحمد) ، فقد وقف ثابتًا فى مكانه ، يتابع حركة الآلى فى بطء ، وهو يردِّد شاردًا :

ـ سأنفذ الأوامر .. كل الأوامر ..

وكمن يعرف طريقه جيدًا ، تجاوز الآلى (نادرة) ، وتخطّى زوجها الفاقد الوعى ، ثم اتجه مباشرة إلى قطعة الكريستال ، وانحنى يلتقطها فى هدوء ، ثم اعتدل ، وأدار عينيه الباردتين ، ووجهه الثلجى المخيف فى وجهى (نادرة) وابنها ، وألقى نظرة سريعة على (وجدى) الفاقد الوعى ، ثم سار فى هدوء مغادرًا المكان ، و (نادرة) ترتجف برعب هائل ، كاد يفقدها الوعى ، وهى تردِّد :

ـ رحمتك يا إلهى !.. رحمتك يا إلهى ..

كانت تردِّدها ، وعيناها معلقتان بابنها ، الذى وقف جامدًا كتمثال من الثلج ، وعيناه تتابعان حركة الآلى ، وكأنما يبارك موقفه تمامًا ..

ولكن فجأة ، اقتحم (نور) المكان بسيارته فى عنف ..

كانت سيارته قد بلغت الموقع ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها الآلى المكان ، فأدرك على الفور أن الأمور قد بلغت ذروتها حتمًا ، وإلا ما أقدم ذلك الآلى على فعلته فى وضح النهار ، وعلى رءوس الأشهاد ..

وبلا تردُّد ، اندفع (نور) نحو منزل (وجدى) ، واقتحمه ..

وتوقّف الآلى بغتة ، عندما رأى السيارة تندفع نحوه بأقصى سرعة ، وتألّقت عيناه بذلك البريق الأزرق ، و ...

ولكن السيارة سبقته ..

وفى قوة وعنف ، ارتطمت سيارة (نور) بالآلى ، ودفعته أمامها ، ليرتطم بالجدار المقابل كالقنبلة ..

وصرخت (نادرة) ، وهى تقفز لتختطف ابنها ، فى حين طارت قطعة الكريستال من يد الآلى ، وتدحرجت

أرضًا ، حتى استقرَّت أسفل مقعد الردهة الكبير ..

وقفز (نور) من سيارته ، وأسرع إلى (نادرة) ، هاتفًا :

ـ أأنت بخير ؟

ضمَّت ابنها إلى صدرها فى قوة ، وهى تقول فى هلع :

ـ زوجى مصاب ، ويحتاج إلى إسعاف عاجل .

أجابها (نور) ، محاولاً طمأنتها :

ـ الإسعاف فى طريقه إلى هنا يا سيِّدتى .. اطمئنى .

وامتدَّت يده لتداعب رأس الطفل ، وهو يقول :

ـ المهم أنك وابنك بخير ، و ...

أزاح (أحمد) الصغير يده فى عنف ، والتفت إليه بنظرة غاضبة مخيفة ، جعلت (نور) يسحب يده فى حدة ، وهو يحدِّق فيه بدهشة عظيمة ..

فهذه الملامح ، التى يتطلَّع إليها ، لم تكن أبدًا ملامح طفل برىء ..

كانت صارمة .. قاسية .. غاضبة ..

ومخيفة ..

وقبل أن تخفت دهشة (نور) ، صدرت من خلفه تلك القرقعة ..

واستدار (نور) إليها فى سرعة ، قبل أن تتسع عيناه فى دهشة ..

لقد كان الآلى ، الذى استعاد حيويته بغتة ، وحمل مقدِّمة سيارة (نور) ، وكأنه يحمل لعبة صغيرة ، ثم دفعها بعيدًا عنه ، فارتدَّت فى عنف ، حتى ارتطمت بالجزء المتبقَّى من الجدار المقابل ، قبل أن يلتفت إلى (نور) بنفس الوجه الجامد البارد ..

وفى سرعة ، استلَّ (نور) مسدسه ، وأزاح (نادرة) وابنها جانبًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ ابتعدا .. اتخذى ساترًا يا سيِّدتى .

تألَّقت عينا الآلى بذلك البريق الأزرق ، استعدادًا لإطلاق أشعته القاتلة ، ولكن يد (نور) تحرَّكت فى سرعة ، وارتفعت بمسدسه ، ليطلق أشعته نحو عين الآلى مباشرة ..

وأصاب هدفه بالفعل ..

وفى نفس اللحظة ، التى انفجرت فيها العين اليسرى للآلى ، انطلقت من عينه اليمنى حزمة من الأشعة الزرقاء ، احتكَّت بكتف (نور) الأيسر ، قبل أن تواصل طريقها ، وتنفجر فى الجدار ..

وعلى الرغم من اللمسة البسيطة ، شعر (نور) بآلام رهيبة فى كتفه ، الذى تفجَّرت منه الدماء ، وراحت تسيل على صدره وذراعه ..

ولكن (نور) تجاهل كل هذه الآلام ، وهو يقفز أرضًا ، ويتدحرج فى مرونة ، متفاديًا حزمة أشعة أخرى ، أطلقها نحوه الآلى ، ثم أطلق أشعة مسدسه الليزرى ، فى محاولة لتفجير العين اليمنى للآلى ، وتجريده من أقوى أسلحته ..

ولكن أشعته لم تصب هدفها هذه المرة ..

لقد تجاوزت عين الآلى ، واخترقت جبهته ، وعبرت رأسه ، لتنفذ من مؤخرة الجمجمة ، وترتطم بالجدار ..

وانتفض جسد (نادرة) فى رعب ، وهى تتابع هذا الأمر ، وضمَّت ابنها إلى صدرها فى قوة ، وهى تواصل الغمغمة بنفس العبارة :

- رحماك يا رب .. رحماك ..

أما صغيرها ، فقد تركَّز بصره على نقطة واحدة طوال الوقت ..

على مقعد الردهة الكبير ، الذى استقرَّت تحته قطعة الكريستال .

كان عقله يتلقى منها رسالة محدودة طوال الوقت ..

رسالة تطالبه بالصمت والسكون ، حتى يتم حسم الأمر .

ثم تسند إليه مهمة خاصة ..

مهمة يتمّ تنفيذها فقط فى حالة حدوث طارئ ..

وفى الوقت نفسه ، كان (نور) يعدو نحو سيارته ، وحزم الأشعة الزرقاء تطارده ، وتتفجَّر خلفه ملاحقة إياه ..

وفى خفة ، قفز (نور) داخل سيارته ، وأدار محرِّكها ..

وقبل أن تتحرَّك السيارة ، استدار إليها الآلى ، وأطلق نحوها أشعته ..

وانفجرت مقدِّمة السيارة ، فى نفس اللحظة التى اندفع بها (نور) نحو الآلى ، واصطدم به فى قوة ، وراح يدفعه أمامه بالمقدِّمة المشتعلة ، حتى ارتطم بالجدار الآخر ، واشتعلت فيه النيران ..

وفى هذه المرة ، صاح (نور) فى (نادرة) ، وهو يغادر سيارته :

- غادرى المكان بسرعة ..

لم تكن سيارته الجديدة من ذلك الطراز ، الذى يمكن أن ينفجر مع الاشتعال ، إلا أنه كان يشعر أن وجود

مدنيين فى المكان يحد من قدرته على مواجهة هذا الآلى ، الذى ظلّ ملتصقًا بالجدار ، والنيران تشتعل فى جسده ، وأجهزته ترصد ما حوله بمنتهى الدقة ، فى حين انطلقت (نادرة) تعدو بابنها خارج المنزل ، صارخة فى رعب :

ـ وزوجى .. ماذا عن زوجى ؟

اندفع (نور) إلى حجرة (أحمد) ، وانحنى يحمل المهندس (وجدى) على كتفيه ، وجرى به إلى الحديقة ، وأرقده على عشبها الطرى ، وهو يقول فى حزم :

ـ عندما تصل حوّامة الإسعاف ، ابتعدوا عن هنا بأقصى سرعة .

ثم التفت إلى المارة ورجال الصحافة ، الذين أحاطوا بالمنزل ، وصرخ فيهم :

ـ ابتعدوا بالله عليكم .. أنتم تعرضون أنفسكم للخطر ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفعت سيارته المشتعلة خارج المنزل فى عنف ، وانزلقت فوق الحشائش ، متجهة نحو (نادرة) وابنها ..

وصرخت (نادرة) فى رعب ، والتفت (أحمد) إلى السيارة فى حركة حادة ، وصاح (نور) :

ـ يا إلهى !.. لن يمكننى أن ..

وقبل أن تكتمل صيحته ، خُيِّل للجميع أن السيارة قد ارتطمت بحاجز خفى ، قبل أن تبلغ (نادرة) وابنها ، ثم انزلقت مبتعدة عنهما ، لتستقر فى ركن الحديقة ، وألسنة اللهب ترتفع منها عالية ..

ولثوان ، ران على المنطقة كلها صمت رهيب ، وكأنما أثار ذلك المشهد رهبتهم إلى أقصى حد ..

حتى (نادرة) ، شملها ذهول عجيب ، جعلها تحدّق فى السيارة المشتعلة ، وقلبها يخفق فى قوة ، وعقلها يحمل فكرة مخيفة ، يخشى لسانها التصريح بها ..

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وانعقد لسانه لحظة ، قبل أن يغمغم فى توتر بالغ :

ـ هذا مستحيل !..

وقبل أن يكمل ما يجول بخاطره ، برز ذلك الآلى ..

كانت النيران تشتعل فى جسده كله ، فى مشهد رهيب ، وهو يدير عينيه إلى حيث يقف (نور) ، ويطلق أشعته الزرقاء ..

وقفز (نور) فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى لمح فيها الآلى ، وأدرك أنه سيطلق أشعته نحوه ، فمرقت الأشعة فوقه ، وانفجرت وسط عدد من الملتفين حول المنزل ..

وهنا ...

هنا فقط ، انطلق الجميع يعدون مبتعدين ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقوا فيها ، أدار (نور) فوهة مسدسه نحو الآلى ، وضغط الزناد مرة ، ومرة ، ومرة ..

وانطلقت أشعة مسدسه ثلاث مرات ، لتخترق كلها رأس الآلى ..

كان يستهدف عينه اليمنى ، ولكن خيوط الأشعة اخترقت وجنته ، وجبهته ، وأنفه ، دون أن تصيب عينه ..

ومرة أخرى ، كان على (نور) أن يعدو بكل قوته ، متفاديًا الأشعة القاتلة ..

ولكن فى هذه المرة ، كان الآلى يستخدم أسلوبًا قتاليًا جديدًا ..

لقد حدّد هدفه ، وسجّله فى برنامج خاص داخله ، بحيث ترتبط عينه بحركة (نور) طوال الوقت ..

وكان هذا يعنى أن الآلى لن يخطئ الهدف قط هذه المرة ..

لذا فقد تألّقت عينه اليمنى بذلك البريق الأزرق ..

وانطلقت حزمة الأشعة القاتلة ..

* * *

اقتحم المساعد فجأة ، حجرة مدير المحطة الفضائية المصرية ، وهو يقول فى انفعال واضح :

ـ سيّدى .. هناك ما ينبغى أن تراه بنفسك .

خفق قلب المدير فى قوة ، وهو يقول :

ـ أراه بنفسى ؟!.. قل لى يا رجل : أنحن على شفا كارثة جديدة ؟!

كان يتمنى ، من أعماق أعماق قلبه ، أن يجيب مساعده بالنفى ، إلا أن هذا الأخير عضّ شفته السفلى ، وهو يقول :

ـ أخشى أننا كذلك بالفعل يا سيّدى .

اتسعت عينا المدير فى ارتياع ، قبل أن يقفز من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ أرنى ما لديك .

وأسرع معه إلى حجرة المراقبة ، حيث أشار المساعد إلى شاشة الرادار الفضائى ، قائلاً :

ـ انظر هذا .

خفق قلب المدير فى عنف ، وهو يتطلّع إلى النقاط الثلاث المضيئة ، فوق شاشة الرادار الفضائى ، والتى تتحرّك فى سرعة منتظمة نحو القمر الصناعى الدفاعى ، وقال فى عصبية :

ـ ما الذى يقوله الراصد ، عن هذه النقاط الثلاث ؟

هزّ المساعد رأسه فى توتر ، وهو يجيب :

ـ لا شىء للأسف .. نفس ما حدث فى المرة السابقة .. الرادار يلتقط الأجسام ، والراصد يعجز عن هذا(*) .

راح المدير يضغط أزرار أجهزة الكمبيوتر فى عصبية ، قائلاً :

ـ ربما لو ضاعفنا كثافة الصورة ، أو ..

قاطعه المساعد فى أسف :

ـ لقد فعلنا ما بوسعنا ، ولكن هذا لم يؤد إلى شىء .. يبدو أن هذه الأجسام محاطة بمجالات كهرومغنطيسية ، تحجبها عن الرؤية .. نحن أيضًا نستطيع فعل هذا ، ولكننا لم ننجح بعد فى إيجاد وسيلة للرؤية ، فى أثناء حالة الاختفاء(**) .

سأله المدير فى توتر :

(*) فكرة الرادار تعتمد على إرسال موجة قصيرة ، ثم استقبال الحزمة المنعكسة منها ، بعد الاصطدام بالهدف ، أما الراصد ، فهو عبارة عن جهاز للرؤية المباشرة ، مثل (التليفزيون) .

(**) حقيقة علمية .

ـ ولماذا لم يعمل القمر الدفاعى هذه المرة ؟!.. لماذا لم يطلق أشعته عليهم ؟

تنهّد المساعد ، قائلاً :

ـ لأنهم لا يتجهون إلى الأرض ، بل يتحركون كما لو كانوا أقمارًا صناعية رسمية ، ويطلقون نفس الشفرة المستخدمة لأقمارنا .

سأله المدير :

ـ وماذا عن التوجيه اليدوى المباشر لأسلحة القمر ؟!

أجابه المساعد فى توتر :

ـ سيادتك تعلم أن هذا يحتاج إلى قرار سيادى .

صاح المدير :

ـ أجر اتصالاتك بالجهات المسئولة إذن ، واطلب قرارًا فوريًا بتوجيه أسلحة القمر .. إنها حالة طوارئ يا رجل .. هيّا .. أسرع .

بدا له من الواضح أن مساعده لم يسمع كلمة واحدة مما قاله ، وأنه يحدّق فى شاشة الراصد بذهول ، فأدار عينيه إليها ، هاتفًا :

ـ ماذا أصابك ؟!

ولكن بصره لم يكد يقع على الشاشة ، حتى اتسعت عيناه فى ذهول مماثل ..

فهناك ، فى الفضاء ، وحول القمر الصناعى الدفاعى الجديد ، برزت فجأة شبكة هائلة ، ذات ثلاثة أطراف ، وراحت تحيط بالقمر فى بطء ..

وهنا ، بدأ القمر عمله ..

وانطلقت أسلحته الدفاعية كلها ..

ولكن العجيب أن الأشعة ، التى انطلقت منه ، تلاشت فور لمسها للشبكة ، التى امتصت طاقتها فى لحظة واحدة ، وأفسدت فاعليتها تمامًا ..

ولثوان ، حدّق المدير ومساعده فى المشهد ذاهلين ، ثم انهار الأول على المقعد المواجه للشاشة ، وهو يقول بصوت مختنق :

- لقد هزموا القمر .. أفسدوا فاعليته .

هتف المساعد :

- لا بد أن نبلغ المسئولين .. لابد .

أشار المدير إلى شاشة الرادار ، وهو يقول فى انهيار :

- أسرع إذن ، فلديك الكثير لتبلغهم به .

هذا لأن النقاط المتألقة الثلاث ، على شاشة الرادار ، كانت تنطلق الآن بأقصى سرعتها ، نحو كوكبنا .. كوكب الأرض ..

* * *

لم يكن هناك مفرّ من إصابة (نور) هذه المرة ..

لقد استخدم الآلى برنامجًا متطورًا ، يجعل إصابة الهدف حتمية ..

لذا فقد انطلقت الأشعة من عينه ، وهى تعرف هدفها جيدًا ..

ولكن العجيب أنها لم تنجح فى إصابته ..

هذا لأنه قبل أن تنطلق الأشعة من عين الآلى ، بجزء من الثانية ، دوى صوت طلقات نارية فى المكان ، وانهالت الرصاصات على صدغ الآلى ، فأمالت رأسه بحركة حادة ، وغيّرت مسار حزمة الأشعة ..

وفى نشاط ، عبر (أكرم) سور حديقة المنزل ، وهو يحمل مسدسه ، الذى يتصاعد من فوهته الدخان ، هاتفًا :

- مرحى يا (نور) .. يسعدنى أننى أصل من أجلك دائمًا ، فى الوقت المناسب .

صاح به (نور) :

- احترس يا (أكرم) .. إنه يلتفت إليك .

لم تكن النيران المشتعلة فى جسم الآلى قد خبت بعد ، وكانت قد التهمت الجزء الأعظم من وجهه ، فبدت أسفله جمجمته البيضاء ، الشبيهة بجماجم البشر ، وقد

احترق أحد تجويفى العينين ، واستقرّت فى التجويف الآخر كرة خضراء ، راحت تتألق بشدة ، و ...

ولكن فريق الشرطة وصل فى اللحظة نفسها ، وصاح بهم (نور) :

ـ أطلقوا النار على كل جزء من جسده .

ولم تكد عبارته تكتمل ، حتى انهالت خيوط الأشعة على الآلى كالمطر ، وراحت تخترق جسده فى شتى المواضع ، فى حين اندفع (أكرم) نحو (نور) ، يسأله :

ـ أأنت بخير ؟!

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى (نادرة) وابنها وزوجها :

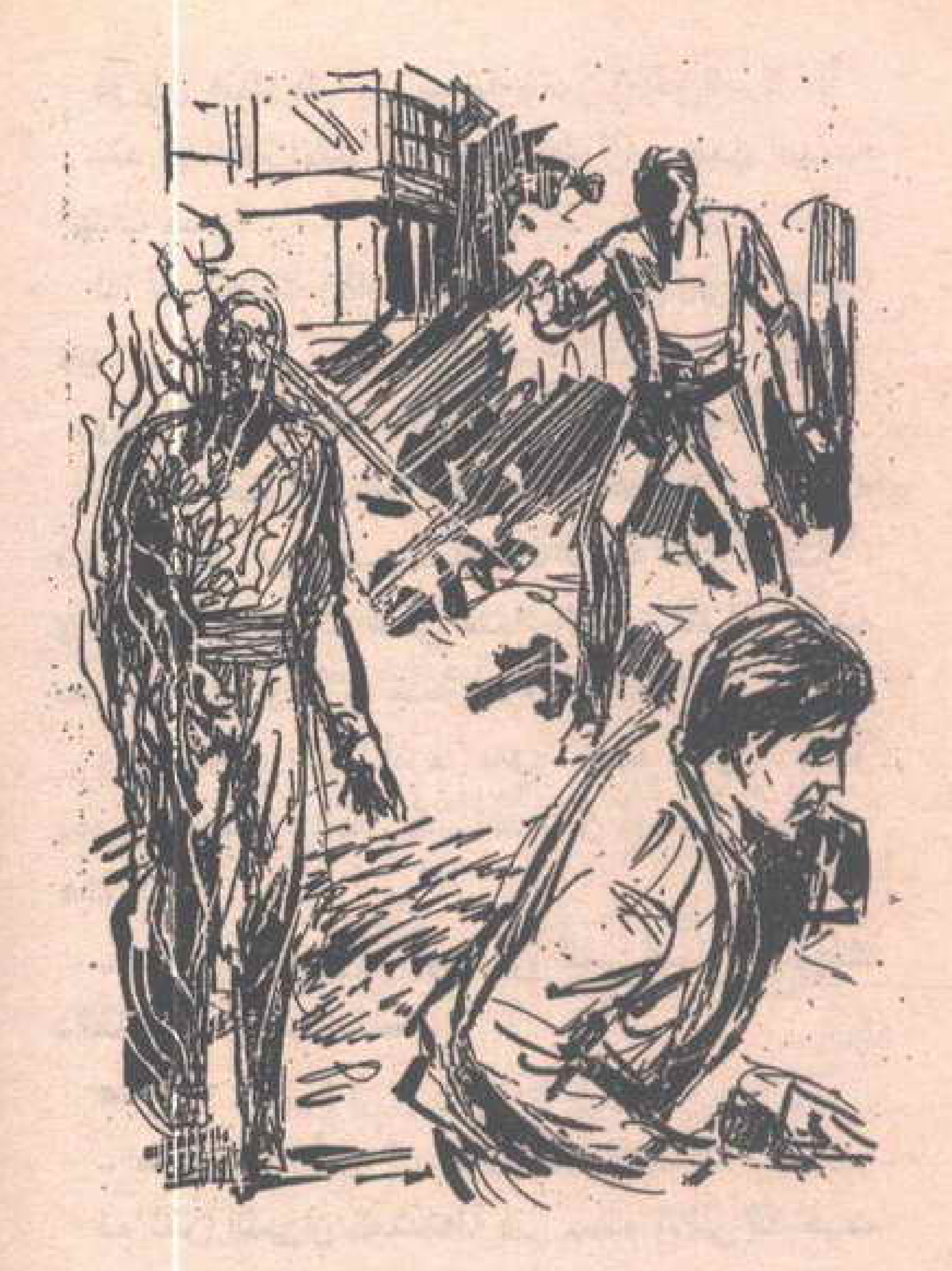
ـ دعك منى الآن ، فهناك من هم أحقّ برعايتنا .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وأسرع نحو (نادرة) ، قائلاً :

ـ كالمعتاد .. لا أحد يجود بكلمة شكر واحدة لـ (أكرم) المسكين ، الذى فرّ من المستشفى والأطباء ، لينقذ زملاءه فى اللحظة الأخيرة .

قالها ، وانحنى يعاون (نادرة) على النهوض ، مستطردًا :

ـ أأنت بخير يا سيّدتى ؟!



لم يكن هناك مفرٌّ من إصابة (نور) هذه المرة ..
لقد استخدم الآلى برنامجًا متطوّرًا، يجعل إصابة الهدف حتمية .

احتضنت (نادرة) ابنها بكل قوتها ، وهى تنهض ، قائلة بصوت مرتجف :

- زوجى مصاب .. أنقذه .. أرجوك .

ومع آخر حروف كلماتها ، برزت حوّامة الإسعاف فى السماء ، فأجابها (أكرم) ، وهو يجذبها بعيدًا :

- اطمئنى يا سيّدتى .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .. كل شىء .

لم تستطع سماع عبارته ، مع دوى الانفجارات ، التى ملأت المكان ، وأشعة الآلى تنسف سيارات الشرطة ، واحدة بعد الأخرى ..

وفى حزم ، قبض (نور) على مسدسه ، وصوّبه إلى كعب الآلى ، قائلاً :

- دعنا نجرّب نظريتك الخاصة بكعب (أخيل) يا (أكرم) .

وأطلق أشعة مسدسه على الكعب ..

ولكن الأشعة اخترقت كعب الآلى ، دون أن تسقطه ، فى نفس اللحظة التى بدا فيها صوت حوّامة الإسعاف مسموعًا ، فرفع الآلى عينه إليها ، وتابعها لحظة بوجهه البارد الجامد ، قبل أن يطلق أشعته ..

وانفجرت الحوّامة فى السماء ..

انفجرت بدوى جذب إليه أنظار الجميع ، وبالذات (أكرم) ، الذى اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يصرخ :

- يا إلهى !.. (نور) .

فقد كانت الحوّامة ، بعد انفجارها ، تسقط مشتعلة نحو بطلنا ..

نحو (نور) .

* * *



١٢- غزاة الفضاء..

اكتسى وجه القائد الأعلى بالتوتر الشديد ، وهو يراجع ذلك التقرير ، الذى وصله بصفة عاجلة وسرية للغاية ، من المحطة الفضائية ، قبل أن يقول للدكتور (ناظم) :

- هذا ما كنت أخشاه .. أحداث مثيرة غامضة على الأرض ، ثم تعطيل للقمر الدفاعى ، وغزو من الفضاء الخارجى .. ما الذى يمكن أن تتوقعه بعد كل هذا ؟

راجع الدكتور (ناظم) التقرير بدوره ، وقال فى توتر مماثل :

- لا يوجد تفسير آخر أيها القائد .. إنها محاولة جديدة لغزو الأرض ، وإلا فلماذا أفسدوا عمل القمر الدفاعى .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، لابد من إخطار القيادة السياسية ؛ لاتخاذ القرار المناسب .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- هل تعتقد هذا ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

- لا مجال للتفكير يا دكتور (ناظم) .. لو أن هذا غزو جديد ، فلابد أن تنطلق صفارة الإنذار الكبرى ، وتعلن حالة الطوارئ فى العالم أجمع ، حتى يستعد الجميع لمواجهة ذلك الخطر الجديد .

ثم تنهّد فى عمق ، قبل أن يضيف فى حزم :

- لا نريد أن نقع فى الخطإ نفسه ، الذى أودى بنا من قبل .

مطّ الدكتور (ناظم) شفتيه ، قائلاً :

- لا أحد يمكنه نسيان تلك الأيام السوداء .

أومأ القائد الأعلى برأسه موافقا ، وهو يجيب :

- ولهذا ينبغى أن نتحرك بأقصى سرعة يا دكتور (ناظم) ، وأن نبلغ القيادة السياسية فورًا ، فهى الوحيدة التى تمتلك السلطة لإعلان حالة الطوارئ العامة .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- سيسبب هذا حالة ذعر عامة عنيفة .

قلب القائد الأعلى كفيه ، وهو يقول :

- ما باليد حيلة !

ثم التقط سمّاعة الهاتف الخاص ، الذى يصله برئيس الجمهورية مباشرة ، وهو يستطرد فى حزم :

- هناك قواعد لا بد لى من اتباعها ، بحكم واجبى ومنصبى .

تركه الدكتور (ناظم) يجرى اتصالاته بالقيادة السياسية ، وعقله يتساءل فى إلحاح ..

أهى بالفعل محاولة غزو أخرى ، أم أنه هناك تفسير لم يخطر بباله بعد ؟!..

وبقى السؤال يلحّ على عقله ..

ويلحُ ..

ويلحُ ..

* * *

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، عندما شاهد حوّامة الإسعاف تسقط فوقه مباشرةً ، وصرخ عقله يحذّره من النتائج الرهيبة للموقف ، فاستنفر قواه كلها ، وأطلق صرخة لعضلاته ، فانقبضت كلها ، ثم انبسطت ، و ...

وقفز جسده بكل قوته ..

ومن حسن حظه أن قفزته جاءت فى موعدها تمامًا ، فلم يكد يبارح موقعه ، حتى ارتطمت الحوّامة المشتعلة بالأوض فى قوة ، وقفزت على نحو مخيف ، وكأنها تطارد جسد (نور) ، الذى راح يتقلّب فوق العشب فى سرعة ، فى محاولة للإفلات منها ، و (نادرة) تطلق

صرخات متصلة ملؤها الرعب والارتياع ، خوفًا من أن يستقر الحطام فوق جسد زوجها ، الذى لم يستعد وعيه بعد .

والعجيب أن صرختها امتزجت بصرخة أنثوية أخرى ، انبعثت من خارج الحديقة ..

صرخة (سلوى) ، التى هرعت إلى المكان ، وقلبها يشعر أن لزوجها اليد الطولى ، فيما يحدث فيه ..

أما (أكرم) ، فقد انطلق يعدو نحو (نور) ، دون أن يدرى ما الذى يمكنه فعله ..

كان يحاول حمايته فحسب ، دون أن يدرى كيف ؟!..

ووسط هذا الموقف العنيف المتوتّر ، توقّفت الحوّامة ، وتأجّجت نيرانها أكثر وأكثر ، فاستلقى (نور) على الحشائش ، وهو يلهث فى شدة ..

وعلى الرغم من خيوط الأشعة ، التى تنهال عليه من كل صوب ، أدار الآلى عينه الواحدة إلى حيث يرقد (نور) .

الهدف الذى تمت برمجة أجهزته من أجله مسبقًا ..

وتألّقت عينه بذلك البريق الأزرق ..

ثم انطلقت الأشعة ..

وانفجرت فى ساق (نور) ، الذى أطلق صرخة ألم

عنيفة ، جعلت (سلوى) تصرخ :

- لا يا (نور) .. لا .

وقفزت تعبر سور الحديقة ، ثم انطلقت تعدو نحو زوجها فى لوعة ، صارخة :

- ماذا أصابك يا (نور) ؟.. ماذا فعل بك هذا الآلى ؟

أدار الآلى عينه إليها فى سرعة ، وتألقت بذلك البريق الأزرق المخيف ، ولكن (أكرم) قفز يحول بينها وبينه ، وهو يصرخ :

- كفى أيها الوغد .. كفاك ما أرقت من دماء .

وانطلقت رصاصات مسدسه نحو عنق الآلى فى غزارة ..

وكانت إصاباته كلها محكمة كالمعتاد ..

وكذلك كانت فكرته ..

لقد أطلق رصاصاته كلها نحو عنق الآلى ، الذى أصيب إصابة فادحة ، جعلته ينفصل تقريبًا عن الجسم ، ويميل جانبًا فى مشهد مخيف ، والعين الزرقاء مازالت تتألق ، وتطلق حزم الأشعة على نحو عشوائى ..

وألقت (سلوى) نفسها إلى جوار زوجها ، وهى تهتف :

- (نور) .. ماذا أصابك ؟

لهث (نور) ، من فرط الألم والإرهاق ، وهو يقول لها :

- اطمئنى يا عزيزتى .. أنا بخير .

هتفت مذعورة :

- ولكن ساقك تنزف بشدة ، وربما كانت مصابة بكسر ما .

أمسك ذراعها ، وهو يقول فى حسم :

- قلت لك : اطمئنى .. كل شىء على ما يرام .

أسرع إليه (أكرم) فى هذه اللحظة ، وهو يهتف :

- (نور) .. أأنت بخير ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- حمدًا لله .. أعتقد أن حاجتنا لحوّامة إسعاف أخرى أصبحت حتمية .

ضحك (أكرم) ، قائلاً :

- نعم .. ربما يفيدنا هذا ، ولكنه لن يفيد هذا الوغد ، بعد أن حطّمت عنقه ، و ...

صرخت فيه (سلوى) فجأة :

- احترس .

ومع صرختها ، انحنى بحركة غريزية ، ورأى خيط الأشعة ، الذى عبر على قيد سنتيمترات من عينيه ، فهتف :

- أيها الحقير .

ثم استدار إلى الآلى فى حزم ، وهو ينتزع خزانة مسدسه الفارغة ، ويحشوه بأخرى ممتلئة ، مضيفًا :

- يبدو أنك لم تذق طعم رصاصات (أكرم) بشكل كاف بعد :

وصوَّب مسدسه إلى ما تبقَّى من عنق الآلى ، وأطلق رصاصاته ، التى فصلت الرأس عن الجسد تمامًا هذه المرة ، فسقط يتدحرج أرضًا ، قبل أن تنسف رصاصة (أكرم) الأخيرة عينه اليمنى ، وتطيح بها تمامًا ..

وبابتسامة ساخرة ، نفخ (أكرم) الدخان المتصاعد من فوهة مسدسه ، وهو يقول :

- فى المرات القادمة ، عندما تتعقَّد الأمور ، أرسلوا فى طلب (أكرم) .

توقَّف رجال الشرطة عن إطلاق أشعتهم ، وبدا وكأن المشهد كله قد تم تغليفه بالصمت ، بعد عبارة (أكرم) الأخيرة ، والجميع يتطلَّعون إلى الآلى ، الذى وقف فى مكانه ثابتًا ، جسدًا بلا رأس ، وقد التهمت النيران أجزاء متفرِّقة من جسده ، وأبرزت هيكله الشبيه بالهيكل البشرى عبرها ، قبل أن تخبو ، وتمنحه ذلك الشكل الرهيب المخيف ..

وربما دار فى الأذهان كلها سؤال واحد ..

كيف لم يسقط الآلى ، بعد أن أطاحت رصاصات (أكرم) برأسه ..

وكجواب لسؤالهم ، برز فجأة عمود رفيع ، من منتصف فجوة العنق عند الآلى ، وراح يدور حول نفسه ، فى حين دارت يداه على نحو عجيب ، ثم انفصل كفاه ، وسقطا عند قدميه ..

ورفع الآلى يده نحو تلك البقعة ، التى يقف فيها (أكرم) ، ويرقد عندها (نور) و (سلوى) ..

وفهم (نور) الأمر على الفور ..

فهم أن ذلك العمود الرفيع بمثابة جهاز رصد جديد للآلى ، يحلّ محلّ رأسه ، وأن أطراف ساعديه هما سلاح جديد ، يعوِّض أشعته القاتلة ..

وبكل قوته ، صاح (نور) :

- احترس يا (أكرم) .. إنه يستهدفك .

انعقد حاجبا (أكرم) لحظة ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، متجهًا نحو سيارة (نور) ، التى خبت نيرانها بدورها ..

ومن خلفه ، أطلق الآلى صاروخًا صغيرًا ، راح

يطارده فى إلحاح ، قبل أن يقفز (أكرم) عبر مقدمة سيارة (نور) ، ويسقط خلفها مباشرة ..

وفى نفس اللحظة ، أصاب الصاروخ السيارة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح بالسيارة ، وقذف (أكرم) أربعة أمتار إلى الأمام ، حتى ارتطم بسور الحديقة ، ودفع (نادرة) إلى الخلف فى عنف ، فارتطمت بالجانب الآخر من السور ، وسقطت على وجهها فوق العشب ، وسقط ابنها على قيد أمتار ثلاثة منها ..

وعلى الفور ، عادت خيوط أشعة مسدسات رجال الشرطة تنهال على الآلى ، الذى استدار إليهم فى بطء ، وأطلق نحوهم صاروخين آخرين ..

وكان الانفجار رهيبًا هذه المرة ..

لقد أطاح بهم فى كل اتجاه ، وأغرق الشارع بدمائهم ..

ثم استدار إلى هدفه الأخير ..

إلى (نور) و (سلوى) ..

وفى لهفة متوترة ، حاول (نور) أن يبحث عن مسدسه ، الذى فقده مع سقوطه ، فى حين اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، مغمغمة :

ـ وداعًا يا (نور) .. إنها نهايتنا ، ولكن عزائى الوحيد أننا سنموت معًا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يواصل بحثه عن مسدسه فى لهفة أكثر ، فى حين رفع الآلى يده ، وصوّبها إلى (نور) و (سلوى) ..

ولم يكن هناك مفر من الموت بالفعل هذه المرة ..

فـ (نور) لم يعثر على سلاحه ، ورجال الشرطة سقطوا صرعى ، و (أكرم) ارتطم بالسور وفقد الوعى ، و ..

وأطلق الآلى صاروخه ..

ودوى الانفجار عنيفًا ..

* * *

حدّق القائد الأعلى فى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به ، قبل أن يهتف :

ـ لقد بدأ الغزو ، قبل أن يحسم القادة رأيهم .

انتفض جسد الدكتور (ناظم) فى عنف ، وهو يقول :

ـ بدأ ؟!

أشار القائد الأعلى إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلاً فى انفعال :

ـ سفن الفضاء الثلاث اخترقت مجالنا الجوى منذ

دقائق ، وسرعتها الخارقة حيّدت كل وسائل الدفاع الجوى الأرضية ، وطائراتنا المقاتلة عجزت عن مطاردتها لشدة سرعتها .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- وهل أسقطوا شيئًا من طائراتنا ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- ليس بعد .. لقد تجاهلوها تمامًا ، واختفوا فى بقعة ما ، فوق صحرائنا الغربية .

تراجع الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- عجبًا !

سأله القائد الأعلى :

- وما العجب فى هذا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، وكأنما يستجمع أفكاره ، قبل أن يقول :

- فى كل الأحوال ، عندما تسعى جهة ما لغزو أخرى ، فإنها تبدأ باستعراض قوتها ، وفارق التسلح ، بينها وبين خصمها ، وهذا يعنى أنه كإجراء طبيعى ، كان المفترض أن تسقط تلك السفن الفضائية الصغيرة إحدى مقاتلاتنا على الأقل ، كنوع من إثبات القوة ، ولكن هذا لم يحدث .

مال القائد الأعلى نحوه ، يسأله فى اهتمام :

- وما تفسير هذا فى رأيك ؟!

صمت لحظات أخرى ، قبل أن يجيب :

- لست أدرى .. يلوح لى أن الغزو ليس الهدف الرئيسى لتلك السفن .

تراجع القائد الأعلى فى دهشة ، قائلاً :

- كيف ؟!.. لماذا أفسدوا القمر الدفاعى إذن ، لو أن الغزو ليس هدفهم ؟!

لوّح بسبّابته فى الهواء ، قائلاً :

- إنهم لم يفسدوا القمر الدفاعى ، فهم لم يحاولوا نسفه أو تعطيله ، وإنما حيّدوه فحسب ، ومنعوا عمله مؤقتًا .. ربما ليمكنهم تجاوزه دون خسائر ، والهبوط على أرضنا .

سأله القائد الأعلى :

- مازال السؤال كما هو .. لماذا يهبطون على أرضنا ؟

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وهزّ رأسه فى بطء ، وهو يجيب فى شرود :

- ربما كان لهم هدف آخر .

سأله القائد الأعلى بنفاد صبر :

ـ مثل ماذا ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه مرة أخرى فى بطء، وعقله يكرّر السؤال أكثر من مرة.

لو أنهم لا يسعون لغزو الأرض، فما تبرير سعيهم للهبوط عليها، ولماذا اخترقوا المجال الجوى المصرى ؟!..

لماذا ؟..

لماذا ؟..

لماذا ؟..

* * *

عندما أطلق الآلى صاروخه، لم تكن هناك قوة فى الأرض، يمكنها منعه من نسف (نور) و (سلوى)، وسحقهما سحقًا..

ولكن دعنا نكرّر كلمة ذات مغزى محدود..

كلمة (فى الأرض)..

ففى تلك المرة بالتحديد، أتت القوة من الفضاء..

أو من مخلوقات فضائية، على وجه الدقة..

ففى نفس اللحظة، التى انطلق فيها الصاروخ، نحو (نور) و (سلوى)، هبط من بين السحب شعاع رفيع من الضوء، لم يكد يلمس الصاروخ، حتى أحاطت به هالة ضخمة، و..

وانفجر..

وأمام العيون الذاهلة المندهشة، لم يتجاوز الانفجار حدود تلك الهالة، كما لو أنها قد احتوته تمامًا، على الرغم من قوته، وحاصرت طاقته فى هذا النطاق الضيق، قبل أن تتلاشى معه فى سرعة..

وفى اللحظة نفسها، استعاد (أكرم) وعيه، واتسعت عيناه فى دهشة، وهو يحدّق فى السماء، حيث هبطت السفن الفضائية الثلاث..

وهتفت (سلوى) مبهورة:

ـ (نور).. يبدو أنه غزو جديد.

أجابها (نور) فى حزم، وهو يراقب سفن الفضاء، التى توقّفت على ارتفاع مائة متر من الأرض:

ـ كلاّ يا عزيزتى.. هذا ليس غزوًا أبدًا.

ومع آخر حروف كلماته، هبطت سفينة الفضاء الوسطى لعشرة أمتار أخرى، ثم انبعثت من قاعدتها حزمة ضخمة من الأشعة، استقرّت وسط الحديقة، ثم تكوّنت داخلها صورة مهتزّة، لم تلبث أن تحوّلت فى سرعة إلى كائنين لهما جسدان صغيران كالأطفال، ورأسان كبيران، داخل خوذتين رقيقتين..

كانا يحملان نفس صفات تلك الكائنات، التى ظهرت فى مزرعة الأبقار..

وبحركة سريعة ، صوّب (أكرم) مسدسه إلى الكائنين ، هاتفًا :

ـ ربّاه !.. أوغاد جدد من الفضاء .

ولكن (نور) صاح به فى سرعة :

ـ كلا .. لا تطلق النار .

تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الآلى صاروخًا جديدًا نحو الكائنين ، اللذين أطلقا نحوه أشعتهما ، فاحتوته داخل هالة مماثلة ، وامتصّت طاقته فور انفجاره .

وفى دهشة ، هتفت (سلوى) :

ـ (نور) .. إنهما يتقاتلان ؟!

أجابها بسرعة :

ـ هذا أمر طبيعى يا (سلوى) ، فهما ليسا حليفين ، كما كنا نتصوّر ..

إنهما خصمان .

هتفت بدهشة أكبر :

ـ خصمان ؟!

لم يعلّق على دهشتها ، وهو يراقب الآلى ، الذى أطلق الكائنان نحوه شعاعًا عريضًا أزرق اللون ، لم يكد يحيط به ، حتى تألّقت فى جسده بقعة زرقاء ، تتحرّك



وأمام العيون الذاهلة المندهشة ، لم يتجاوز الانفجار حدود تلك الهالة ..

فى سرعة ، وتغيّر موقعها بحركة متصلة بلا انقطاع ..

وهتف (نور) :

ـ آه .. لهذا لم نعثر على مركز التحكُّم فيه ، فهو معدّ بحيث يتغيّر موقعه بصورة دائمة .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ أى مركز تحكم ؟!

عندما ألقت سؤالها ، كان الكائنان يصوّبان سلاحًا عجيبًا إلى تلك البقعة الزرقاء المتحركة ، ويطلقان النار ..

وتوقّفت حركة تلك البقعة فور إصابتها ، وتضاعف تألُّقها فى شدة ، فدفع (نور) زوجته ، هاتفًا :

ـ احترسى .

خفضت رأسها فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى انفجر فيها الآلى ، وتحوّل إلى شظايا صغيرة مشتعلة ، يصعب تعرُّفها أو فحصها ..

وفى دهشة ، خفض (أكرم) مسدسه ، وهو يغمغم :

ـ ربّاه !.. لم أعد أفهم شيئًا .

قالها ، وهو يتجه نحو (نور) ، الذى لهث ، قائلاً :

ـ أنا أفهم يا (أكرم) .. أنا أفهم .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وتوترت أصابعه على

مقبض مسدسه ، وهو يتابع حركة الكائنين ، قائلاً :

ـ (نور) .. إنهما يتجهان إلينا .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا فى إرهاق ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. إنهما صديقان .

بدا التوتر على وجه (أكرم) ، وهو يغمغم :

ـ صديقان ؟!

ثم رفع مسدسه فى شىء من الحدة ، عندما بلغهم الكائنان ، فأشار إليه أحدهما ، وسمعه (أكرم) يقول :

ـ لا داعى للسلاح .. لسنا نقصد بكم شرًا .

انتفض جسد (أكرم) فى عنف ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ لقد سمعته ، ولكنه لم يفتح شفتيه .. هذا لو أن له شفتين .. لقد خاطب عقلى مباشرة .

هتف به (نور) :

ـ اهدأ يا (أكرم) .. اهدأ بالله عليك .

ثم أدار عينيه إلى أحد المخلوقين ، قائلاً :

ـ أنتما خصمان لتلك المخلوقات الأخرى شبه الفيروسية .. أليس كذلك ؟!

أومأ الكائن برأسه إيجابًا فى بطء ، وهو يجيب برسالة عقلية :

- هذا صحيح فى الوقت الحالى ، ولكننا لم نكن كذلك فى البداية .

سأله (نور) فى دهشة :

- ماذا تعنى بهذا ؟

ارتسمت على الشق الفمى فى الرأس الكبير شبه ابتسامة ، مع تلك الرسالة العقلية ، التى تسللت إلى عقل (نور) ، قائلة :

- لقد فعلنا هذا من أجلكم .

هتف (نور) فى دهشة أكبر :

- من أجلنا ؟!

أومأ الكائن برأسه إيجابًا ، قبل أن يسأله برسالة عقلية :

- ألم تتوصّل إلى هذا الاستنتاج ؟.. عقلك يؤكّد أنك تمتلك موهبة استنباطية مدهشة .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلا .. لم أتوصّل إلى هذا ، وإنما أدركت أنكم والآليون خصمان ، وأنهم يبحثون عن تلك الكائنات الأخرى ، الشبيهة بالفيروسات ، لأن تلك الكائنات صنعتهم ، أو أوحت بصناعتهم .

أجابه الكائن برسالته العقلية :

- هذا صحيح .. تلك الكائنات شبه الفيروسية ، والتى تطلق عليها اسم (الكاروس) ، تمتلك القدرة على السيطرة على عقول الآخرين ، ودفعهم لصنع كل ما يحتاجون إليه ، وطبيعتهم بالفعل أشبه بالفيروسات ، إذ لا يمكنهم الحياة إلا داخل كائن حى بصورة طفيلية .

قال (نور) :

- لقد استنتجت هذا ، واستنتجت أيضًا أنهم احتلوا أجسام الأبقار ، فى محاولة لخداعكم ، وكوسيلة للتمويه ، ولكنكم كشفتم أمرهم بوسيلة ما ، وهاجمتموهم فى مزرعة الأبقار .

أجابه الكائن ببث عقلى مباشر :

- هذا صحيح .. لقد كانت هذه آخر مجموعة منهم ، ولقد قضينا عليها كلها ، فيما عدا الكائن (س) .

سأله (نور) فى دهشة :

- وما الكائن (س) هذا ؟

هزّ الكائن رأسه ، قائلاً بعقله :

- يبدو أنه من الضرورى أن نشرح لك الأمر منذ بدايته .

اعتدل (نور) ، وهو يقول فى اهتمام :

- إننى أتوق لهذا .

قالها ، وتأوه فى ألم ، فالتفت إليه الكائن الآخر ، ثم تطلع إلى زميله ، وكأنما يعرض عليه أمرًا ما ، قبل أن ينحنى ، ويخرج من ثوبه شيئًا أشبه بكرة سوداء ، لمس به جرح (نور) فى رفق ..

واتسعت عينا (أكرم) و (سلوى) فى دهشة بالغة ..

لقد توقف النزيف على الفور ، وراح الجرح يلتئم وينكمش فى سرعة ، حتى لم يعد له أثر ، فقال (نور) :

- كيف فعلت هذا ؟.. أهو نوع من الإشعاع ؟

أجابه عقل الكائن :

- بل هو نوع من البكتريا ، ينمو فى كوكبنا .

هتف فى دهشة :

- البكتريا ؟!

وهنا أجابه الكائن الآخر ، بلغة عقلية هادئة :

- دعك من هذا الآن ، واستمع إلى قصتنا ، فليس لدينا الكثير من الوقت .

قالها ، وراح يروى القصة لعقل (نور) ..

القصة الكاملة .

* * *

١٣ - العقل ..

كتيار هادئ جميل ، ينساب فى نهر واسع متدفق ، انتقلت الكلمات والأفكار إلى رءوس الجميع ، والكائن يروى بلا صوت :

- إنها ليست أول مرة نزور فيها كوكبكم .. إننا نأتى لزيارتكم كل ربع قرن من زمنكم تقريبًا ، فى رحلات شبه منتظمة ، منذ قرون عديدة ، دون أن نفصح عن وجودنا ، أو نعلن هويتنا ، ودون أن يشعر عالمكم برحلاتنا ، باستثناء تلك المرة ، التى سقط فيها أحد أطباقنا الطائرة فى (روزويل)(*) .. وفى هذه المرة ، كنا نقوم برحلتنا المعتادة ، عندما فوجئنا بتلك المخلوقات شبه الفيروسية .. إنها نوع من الكائنات

(*) حادثة (روزويل) : ذات ليلة من ليالي يوليو ، عام ١٩٤٧م سقط طبق طائر مجهول الهوية على قرية (روزويل) ، فى ولاية (نيو مكسيكو) الأمريكية ، وسرعان ما سيطر الجيش على المنطقة كلها ، ومنع الاقتراب منها ، كما فرض حظر التجوال فى القرية ، وتمت السيطرة على الحادث ، ومنع انتشار أمره ، مع حظر نشر أخباره ، ولكن الكاتب الأمريكى (تشارلز بيرلتز) أصدر كتابًا حول الحادث ، نال شهرة واسعة ، وكشف الواقعة كلها .

الطفيلية ، التى تجوب الفضاء ، للبحث عن كواكب تصلح لعيشها واستقرارها ، وتأتى من كوكب بعيد ، نطلق عليه اسم (كاروسيا) .. ولقد شاهدنا من قبل كوكبًا ، سيطرت عليه تلك الكائنات لردح من الزمن .. ويا للمأساة !!.. لقد تكاثروا وانتشروا ، على حساب الكائنات الأصلية للكوكب ، التى فقدت هويتها وملامحها ، وأصبحت مجرّد عبيد وتوابع للكائنات الواردة ، التى لم تكتف بالسيطرة عليهم ، وإنما جعلت منهم غذاءً لها أيضًا .

تمتم (أكرم) ممتعضًا :

ـ يا للبشاعة !

وافقه الكائن بإيماءة من رأسه ، قبل أن يتابع بث رسالته العقلية .

ـ ولهذا السبب اتخذنا قرارًا حاسمًا بشن حرب بلا هوادة على تلك المخلوقات ، ومنعها من إرسال إشارة إلى كوكبها الأصلى ، تعلنه فيها بعثوره على كوكب جديد يصلح لحياتها .

أمسكت (سلوى) يد (نور) فى قوة ، هاتفة :

ـ ربّاه !.. تلك الإشارة غير المكتملة يا (نور) .

ربّت على يدها مهدئًا ، وهو يغمغم :

ـ فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) ، على أنها لم تكتمل يا عزيزتى .

لم يبد على الكائن أنه سمع حوارهما ، وهو يتابع :

ـ فانطلاق تلك الإشارة يبلغ الكوكب الأم لتلك المخلوقات بموقع أرضكم وكيفية الوصول إليها ، ولقد قاتلنا تلك المخلوقات فى شراسة ، واعترضنا إشاراتها أكثر من مرة ، بل وألقينا القبض على قائدها الداهية ، الكائن (س) ، وكان أحد رجالنا ينقله إلى سفينتنا الأم ، فى الفضاء الخارجى ، عندما رصده راداركم الفضائى ، وكمحاولة منه للتمويه على خط سيره الأصلى ، عاد أدراجه إلى الأرض ، فأطلق قمركم الدفاعى أشعته عليه ، وأصابه إصابة مباشرة ، فهوى إلى الكوكب .. ولكنه رفض القفز من السفينة لينقذ نفسه ، وفضّل البقاء فيها لتغيير مسارها ، حتى لا تنفجر وسط الآمنين .

قال (نور) فى احترام :

ـ كان بطلا .

رافقه الكائن بإيماءة من رأسه ، قبل أن يكمل :

ـ وبوسيلة ما ، تمكّن الكائن (س) من القفز من السفينة ، فى لحظة تغيير مسارها ، وسقط وسط العاصمة .. والمؤسف أننا عجزنا عن تحديد موقع

هبوطه ، وكأنه يختبئ داخل مخبأ عازل للأشعة ، ولم نكشف موقعه إلا مع الأحداث ، التى قادتنا إلى هنا ، ولقد اضطررنا لتحييد قمركم الدفاعى ، حتى يمكننا الوصول إليكم دون خسائر .

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

ـ ولقد وصلتم فى الوقت المناسب .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ولكن أين هذا الكائن (س) ؟

أشار الكائن إلى منزل (وجدى) ، قائلاً :

ـ هناك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت فى المكان صرخة رهيبة ..

صرخة أطلقتها المهندسة (نادرة) ، وهى تتطلّع إلى منزلها ، وتقول بصوت ارتجف مع جسدها ، الذى راح يرتعد كريشة فى مهب الريح :

ـ (أحمد) .. ابنى (أحمد) .

التفت إليها الجميع ، و (نور) يسألها :

ـ أين هو ؟

صرخت فى ارتياع :

ـ هناك .. فى المنزل ..

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى تألّق المنزل كله بوهج أزرق أخّاذ ، ثم أحاطت به قبة شفافة هائلة ، فقال الكائن ببث عقلى مباشر :

ـ الكائن (س) يستخدم أقصى طاقته ، لعزل المنزل كله .

انهارت (نادرة) ، هاتفة :

ـ ابنى !!.. إبنى !!

وهتف (أكرم) :

ـ ولكن لماذا يعزل المنزل كله ؟!..

أجاب الكائن عقليًا :

ـ لا ريب فى أن لديه وسيلة لبث رسالته إلى كوكبه الأم ، ولو نجح فى هذا ، سيواجه كوكبكم خطرًا داهمًا ، حتى نحن لا يمكننا إنقاذكم منه .

شهقت (نادرة) ، هاتفة :

ـ ربّاه !.. (الميكروويف) .

سألها (نور) فى توتر :

ـ أنت تعرفين شيئًا يا سيّدتى .. أليس كذلك ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى ترتجف فى قوة ، قبل أن تقول :

ـ بلى .. بلى .. إننى أعرف كيف صنع جهاز البث .

وبكلمات مرتجفة ، راحت تروى لهم الموقف كله ، فهتف (أكرم) :

- يا إلهى !.. إذن فذلك الوغد ينوى بالفعل بث رسالته إلى كوكبه ..

لابد من منعه .. لابد .

ثم التفت إلى الكائن الفضائى ، مستطردًا :

- لماذا لاتعترضون البث هذه المرة ، كما فعلتم من قبل ؟!

أجابه الكائن بهدوئه العقلى المثير :

- سفينتنا الأم لم يعد لديها طاقة كافية لهذا ، ولو اعترضت البث ، هذه المرة ، لن يمكنها العودة بنا إلى كوكبنا قط ، كما أن الطاقة التى نستخدمها غير موجودة فى كوكبكم ، ولا يمكنكم تزويدنا بها لو نفدت .

وتوقّف بثه العقلى لحظة ، قبل أن يتابع :

- لا تلومونا لهذا ، فهى مسألة بقاء ، ولقد بذلنا كل ما بوسعنا من أجلكم ، والآن حان دوركم .

قالها ، فهبطت تلك الحزمة الضخمة من قاعدة السفينة المعلقة فى الهواء ، وأحاطت به مع رفيقه ، وراحت صورتهما تهتز فى بطء ، وتتلاشى رويدًا رويدًا ، وهو يلوّح بيده ، ثم اختفى الاثنان تمامًا ، وتوقّف انبعاث حزمة الإشعاع الضخمة ، وارتفعت السفينة الوسطى ، لتتساوى بارتفاعها مع زميلتيها ، ثم

انطلق الثلاثة بغتة بسرعة خرافية ، واختفوا من المكان ..

ولثانية أو ثانيتين ، ران على المكان صمت رهيب ، والجميع يتابعون انطلاق السفن الثلاث ، ثم هتف (أكرم) فجأة :

- كوكبنا فى خطر .

أعاد هتافه الجميع إلى واقعهم ، فقال (نور) لزوجته فى انفعال :

- أما زال الكمبيوتر يحتفظ بالبيانات الخاصة بالبث الأوّل غير المكتمل ؟

أجابته فى سرعة :

- بالتأكيد .

نهض واقفًا فى نشاط ، بعد أن التأمت جراحه ، وهو يقول فى حزم :

- حدّدى الذبذبة إذن ، وابحثى عن وسيلة للشوشرة على البث ، الذى سيطلقه ذلك الكائن (س) ، فلن يمكنه عزل المنزل طويلاً ، وعندما يعجز عن هذا ، سيجدنى مع (أكرم) فى مواجهته .

ابتسم (أكرم) ، وهو يزوّد مسدسه بخزانة رصاصات جديدة ، قائلاً :

- أحسنت القول يا زميلى العزيز .

تركتهما (سلوى) يتجهان إلى المنزل ، وانطلقت تعدو عائدة إلى منزلها ، والتقت فى طريقها بـ (مشيرة) مع فريق التصوير ، فهتفت بها فى لهفة :

- (مشيرة) .. لقد وصلت فى الوقت المناسب تمامًا .. أخبرينى .. هل أتيتم فى سيارة البث المباشر .

أجابتها (مشيرة) فى سرعة :

- بالطبع .. هل ترغبين فى بث بيان ، على الهواء مباشرة ؟!

هتفت (سلوى) :

- بل أريد ما هو أكثر من هذا يا (مشيرة) .. أريد أن أمنحك فرصة لدخول التاريخ .. هل ترغبين فى هذا ؟

أجابتها (مشيرة) فى حماس :

- وبشدة .

قالت (سلوى) :

- أسرعى بنا إلى منزلى إذن ، سنحضر جهاز الكمبيوتر الصغير ، ونوصله بجهاز البث المباشر .

قالت (مشيرة) فى دهشة :

- وكيف يدخلنى هذا التاريخ ؟!

صاحت بها :

- ستعرفين كل شىء فى حينه .. المهم أن تسرعى .. أسرعى بالله عليك .

فى نفس هذه اللحظة ، كان (أحمد) يقف فى ردهة المنزل ، وينظر إلى قطعة الكريستال بعينين تتألقان ببريق أزرق ..

وفى هدوء ، وبدون أن يلمسها ، خرجت قطعة الكريستال من تحت مقعد الردهة الكبير ، وارتفعت فى الهواء ، ثم طارت فى بطء نحو حجرته ، واستقرت هناك ، إلى جوار تلك الأشياء ، التى أوصل بعضها ببعض ..

وبحركة بطيئة ، التفت الصغير إلى المطبخ ، فاهتز فرن (الميكروويف) لحظة ، ثم ارتفع بدوره فى الهواء ، وراح يسبح نحو الحجرة فى هدوء ، ليستقر إلى جوار الكمبيوتر ..

وفى خطوات رتيبة آلية ، اتجه (أحمد) إلى حجرته ، وجلس إلى جوار (الميكروويف) ، والتقط طرفى السلك ، وراح يوصله بهما فى صمت ، قبل أن يتطلع إلى قطعة الكريستال ، التى راحت تتألق فى شدة ، والضوء الأزرق المنبعث منها ينعكس على وجهه الصغير ..

وبعينين شاردتين ، تمتم (أحمد) :

- سأنفذ كل شىء .. كل شىء ..

ثم راحت أصابعه الصغيرة تضرب أزرار الكمبيوتر ، لتتراص تلك المعادلات المعقدة على شاشته ، حتى اكتملت ، فالتفت إلى الكائن (س) ، وقال بلهجته الجافة :

- كل شىء جاهز للبث .

تألق الكائن أكثر وأكثر ، حتى أن الضوء الأزرق غمر الصغير كله ، فتزايد شروده ، وهو يهمس لاهثًا ، وكأنما استنزف هذا الخضوع طاقته بشدة :

- نعم .. نعم .. سأفعل .

ثم مال إلى الأمام ، وضغط أحد أزرار جهاز التحكُم عن بعد ..

وبدأ البث ..

ولكن فجأة ، التقط جهاز الراديو الصغير ذبذبة قوية ، أفسدت البث تمامًا ، وراحت شاشة الكمبيوتر تحمل معادلات مختلفة تمامًا ..

وتضاعفت سرعة نبض الضوء الأزرق ، فى قلب الكائن (س) ، فى حين ارتسم ذلك المزيج من الغضب والصرامة على وجه (أحمد) ، وهو يلتفت إلى الخارج ..

ولم يكد يفعل ، حتى وقع بصره على (نور) و (أكرم) ، اللذين يحاولان عبور تلك القبة الشفافة ، التى انخفضت كثافتها كثيرًا ، والكائن (س) يركز طاقته كلها على أجهزة البث ، فى محاولة لتقويته ، والتغلُب على تلك الذبذبة المضادة ..

وفى حزم ، صوب (أكرم) مسدسه إلى جزء من القبة الشفافة ، قائلًا :

- معذرة يا عزيزى (نور) ، ولكن أسلحتكم الليزرية الرقيقة لا تجدى ، فى مثل هذه الظروف .

قالها ، وأطلق رصاصات مسدسه على ذلك الجزء من القبة فى إسراف ..

وفى الظروف العادية ، لم يكن من الممكن أبدًا أن تخترق رصاصاته سنتيمترًا واحدًا من تلك القبة ..

ولكن الكائن (س) كان قد أهمل تركيزه عليها إلى حد كبير ..

كان يحتاج إلى كل ذرة من قوته ، ليخترق الذبذبة الاعتراضية ، ويرسل إشارته الأخيرة إلى كوكبه ..

إشارته التى سترشد فريق الغزو كله إلى الأرض ..

كان يرغب فى بثها ، حتى ولو كان هذا آخر ما يفعله فى حياته ..

هذا دوره ..

وواجبه ..

وهكذا ، اخترقت رصاصات (أكرم) القبة ، فهتف فى ظفر :

ـ ألم أقل لك يا (نور) ؟!.. سلاحى وحده يحسم الأمور دائمًا .

اندفع (نور) عبر الفجوة فى القبة ، قائلًا :

ـ لا تعتمد على هذا .

لحق به (أكرم) ، قائلاً :

ـ هل تراهن ؟!

انطلقا نحو حجرة (أحمد) ، ولكن هذا الأخير اعترض طريقهما بنظرته الصارمة الغاضبة ، فقال له (أكرم) فى صرامة :

ـ افسح الطريق أيها الصبى .

رمقه (أحمد) بنظرته الصارمة القاسية ، فاقترب منه (نور) فى حذر ، قائلاً :

ـ (أحمد) .. استمع إلىّ يا بنى .. ذلك الشىء يسيطر على عقلك ، ويدفعك إلى خيانة كوكبك دون أن تدرى .. لا تستمع إليه .

زمجر الصغير على نحو عجيب ، فصاح فيه (أكرم) ، وهو يندفع نحوه :

ـ ألم تسمع أيها الصبى ؟.. قلت لك : ابتعد .

انعقد حاجبا (أحمد) بغتة ، وهو يلتفت إليه بحركة حادة ، فشعر (أكرم) وكأنه تلقى لطمة شديدة العنف فى صدره ، انتزعته من مكانه ، وقذفته عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار فى قوة ، ويسقط أرضًا ..

ومع آلامه المبرحة ، صاح (أكرم) غاضبًا :

ـ أيها اللعين !

قالها ، وهو يصوّب مسدسه إلى الصغير ، فصرخ (نور) :

ـ إياك أن تفعل .. إنه مجرّد صبى .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ مجرّد صبى ؟!.. ألم تر ما فعله بى ؟

صاح (نور) :

ـ إنه لم يكن يقصد هذا .. صدقنى .. إنه ليس مسئولاً عن أفعاله.

ثم التفت إلى (أحمد) ، مستطردًا :

ـ أليس كذلك يا صغيرى ؟.. أنت لست مسئولاً عن أفعالك .. ذلك الشىء يسيطر على عقلك ، ويدفعك إلى هذا دفعًا .

رمقه الصبى بنظرة صارمة ، شعر معها (نور) بأن قبضة باردة كالثلج تعتصر عنقه ، وتكتم أنفاسه ، ولكنه واصل بصوت مختنق مبحوح :

- إنه شيء بغيض شرير ، يتطفل عليك وعلينا جميعًا .. لابد أن تتحرر منه .. لابد .

كان يتحيّن الفرصة ، لتصويب مسدسه إلى أحد الأجهزة ، التي تكوّن في مجموعها جهاز البث الفضائى ، موقنًا من أن تدميره سيؤدى إلى قطع الدائرة ، وإتلاف الجهاز ، ومنع بث تلك الرسالة ، التى قد يتوقّف عليها مصير الأرض كلها ..

ولكن يبدو أن الصغير كان يمتلك القدرة على قراءة الأفكار أيضًا ؛ فقد تحرّك بسرعة ، ليحمى الجهاز بجسده ، ويصنع من نفسه حائلاً ، بين (نور) وإصابته ..

وفى حدة ، هتف (أكرم) :

- ابتعد يا (نور) ، وسأطلق النار على رأسه .. انس أنه صبى صغير ، وتذكر فقط الأرض ومصيرها .

كان قول (أكرم) منطقيًا للغاية ، إلا أن (نور) لم يكن ليحتمل هذا ، لذا فقد كرّر فى حدة :

- إنه مجرّد صبى .

لم يكد ينطقها ، حتى أتاه صوت (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال الصغير ، وهى تقول فى توتر شديد :

- (نور) .. البث أقوى مما ينبغى .. لن يمكننا الاستمرار فى بث الموجة الاعتراضية طويلاً .. هذا يحتاج إلى طاقة كبيرة ، وبطارية الشحن فى سيارة البث المباشر شارفت على النفاد .

امتلأت نفس (نور) بالتوتر ، وراح عقله يعمل فى سرعة ، و (أكرم) يهتف :

- هل سمعت يا (نور) ؟.. لا يمكننا الوقوف ساكنين .. سأقتله ، حتى وإن كنت ترفض هذا .. لا يمكننى التضحية بمصير الأرض كلها ، للحفاظ على صبى واحد .

قالها ، وصوّب مسدسه إلى الصبى ، الذى تألّقت عيناه مرة أخرى بذلك البريق الأزرق ، فاتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وفوجئ بفوهة مسدسه تميل ، وكأن يدًا قوية تلوى معصمه ، وتجبره على إدارة الفوهة نحو رأسه ..

وفى ذهول ، حاول التخلّص من المسدس ، إلا أن أصابعه ظلّت مطبقة عليه ، وكأنما تأبى أن تطيع أوامر عقله ..

وهتف (أكرم) ، وهو يحاول تفادى الفوهة القاتلة :

- اللعنة !.. إنه يدفعنى لقتل نفسى يا (نور) .

تضاعف توتر (نور)، وعيناه تدوران فى كل اتجاه ، بحثًا عن حل ، و ..

وفجأة ، التفت إلى (أكرم) ، هاتفًا :

- أنت المسئول عن كل هذا .. إنك تستحق القتل .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يصيح :

- (نور) .. هل جننت ؟

استلّ (نور) مسدسه الليزرى ، وصوّبه إليه ، صارخًا فى ثورة :

- لا تقل هذا .. أنت تستحق القتل .. تستحقه عن جدارة .

وقبل أن ينطق (أكرم) بحرف واحد ، ضغط (نور) زناد مسدسه ..

وانطلقت الأشعة القاتلة .

* * *



١٤- الختام..

ارتجف جسد (مشيرة) ، من فرط الانفعال ، وهى تهتف بـ (سلوى) ، داخل سيارة البث المباشر :

- لن يمكننا الاستمرار يا (سلوى) .. تلك الذبذبة قوية للغاية ، والتصدّى لها يستنفد الطاقة بسرعة رهيبة .

قالت (سلوى) فى توتر ، وهى تتابع شاشة الكمبيوتر :

- أعلم هذا يا (مشيرة) ، فالمعدلات تنخفض بسرعة أمامى .

سألتها (مشيرة) :

- وماذا سيحدث ، عندما تنفد طاقتنا ؟

أجابتها (سلوى) مرتجفة :

- ستتوقف الموجة الاعتراضية على الفور ، وتنطلق الإشارة .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (مشيرة) ، وهى تغمغم :

- ربّاه !.. لا يمكننى حتى التفكير فى هذا الاحتمال .

ثم هتفت فجأة :

ـ يا إلهى !.. انظرى يا (سلوى) !

التفتت (سلوى) بسرعة إلى حيث تشير ، وانعقد حاجباها فى شدة ..

لقد رأت تلك القبة المحيطة بالمنزل تتلاشى تدريجيًا ، وتتحوّل إلى شىء أشبه بفقاعة هواء ، فى حين تنبعث من النوافذ كلها أضواء زرقاء قوية ، على نحو جعل المشهد أشبه بأحد مشاهد أفلام الرعب القديمة ..

وفى انبهار ، غمغمت (سلوى) :

ـ ترى ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابتها (مشيرة) مرتجفة :

ـ أخشى أنه قد يعنى أن ذلك الشىء يزداد قوة .

قالت (سلوى) فى هلع :

ـ ولكن القبة تلاشت .

أجابت (مشيرة) فى صوت أشبه بالهمس :

ـ ربما لأنه لم يعد يحتاج إليها .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ ولكن (نور) و (أكرم) هناك .

انحدرت الدموع من عينى (مشيرة) ، مع قولها :

ـ لو لم يكن قد سيطر على عقليهما .

شهقت (سلوى) ، ويدها ترتفع بحركة غريزية إلى شفتيها ..

وفى أعماقها انطلقت صرخة لوعة ..

مستحيل أن يكون ذلك الكائن (س) قد سيطر على عقل (نور) !..

مستحيل !..

وارتجف كيانها كله مع جسدها ، والفكرة تعربد فى رأسها ، و ...

وفجأة ، انطلق صفير قوى داخل السيارة ، التى ارتجَّت فى عنف ، قبل أن تهمد حركتها تمامًا ، وتنطفئ أنوارها الداخلية ..

ومرة أخرى ، شهقت (سلوى) ..

فقد كان هذا يعنى أن طاقة السيارة قد نضبت عن آخرها ..

وأن الموجة الاعتراضية لم تعد تعمل ..

وفى هذه الحالة ، ستنطلق إشارة الكائن (س) إلى كوكبه ..

وينتهى أمر كوكبنا ..

ولو بعد حين ..

* * *

راقب مدير المحطة الفضائية ومساعده شاشة الرادار الفضائى فى اهتمام ، لمتابعة تلك النقاط الثلاث التى تألّقت فوقها ، وهى تبتعد فى سرعة عن المجال الفضائى الأرضى ، وغمغم الأوّل فى توتر :

ـ هل انطلق المكوك الفضائى ؟

أومأ المساعد برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. سيظهر بعد لحظات على الشاشة ، وهو يطارد تلك السفن الفضائية الثلاث ، ولقد زوّدناه بآلة تصوير خاصة ، بحيث يمكنه نقل كل ما يواجهه إلينا ، عبر شاشة الراصد .

هزّ المدير رأسه فى توتر ، قائلاً :

ـ لست أدرى لماذا زوّدوه بأسلحة هجومية ؟!.. لست أحبذ فكرة الدخول فى معركة مع تلك السفن أبدًا .

قال المساعد فى اهتمام :

ـ من يدرى ؟.. ربما اضطر إلى هذا .

تنهّد المدير ، مغمغمًا :

ـ أتعشّم ألا يفعل .

ثم أشار إلى شاشة الرادار ، مستطردًا :

ـ ها هو ذا .

ظهر المكوك الفضائى المصرى على شاشتى الرادار

والراصد فى آن واحد ، وهو يطارد سفن الفضاء الثلاث ، التى لم تحاول حتى إخفاء نفسها هذه المرة ، مما جعل المدير يقول فى شىء من القلق :

ـ إنهم يقاتلون بوجوه عارية هذه المرة .

قال المساعد فى حذر :

ـ أعتقد أن الاختفاء لم يعد مجديًا ، بعد أن كشفوا أوراقهم بهذه الصورة السافرة .

مطّ المدير شفتيه لحظة فى صمت ، قبل أن يسأله :

ـ هل تعتقد أنهم لا يفكرون حقًا فى غزونا ؟

صمت المساعد لحظة ، ثم أجاب :

ـ هذا يتوقّف على قدراتهم الحالية .

سأله المدير فى حيرة :

ـ وما الذى يعنيه هذا الجواب ؟!

أجابه المساعد فى اهتمام :

ـ يعنى أنه من الممكن أن يكون غرضهم الفعلى هو الغزو ، ولكنهم اضطروا لكشف وجودهم ، قبل أن تكتمل استعداداتهم وتصل قواتهم ؛ لذا فقد تظاهروا بأنهم مسالمون متعاونون ، حتى يكتسبوا ثقتنا ، ثم يباغتونا بعدئذ بالهجوم ، وربما كان كل ما حدث مجرّد مسرحية .

قال المدير فى دهشة :

- مسرحية ؟!

أومأ المساعد برأسه مؤكدًا ، قبل أن يشرح ، قائلاً :

- نعم .. مسرحية ، الغرض منها إخفاء الهدف الحقيقى من وجودهم هنا .. فلقد أصاب قمرنا سفينتهم الفضائية ، وكشف وجودهم ، قبل أن يستعدوا للهدف الحقيقى ، فقاموا بهذا العمل المسرحى الكبير ، ليخفوا عنا أهدافهم الحقيقية .

سأله فى اهتمام :

- مثال ماذا ؟!

تنهّد مجيبًا :

- ربما كانت تلك الكائنات الأخرى هى وسيلتهم لغزونا مثلاً .

تطلّع إليه المدير باستنكار ، فتابع فى سرعة :

- لا تنس يا سيّدى أننا رصدنا سفينتهم ، وهى تتجه إلى الأرض ، وليس وهى تبتعد عنا ، كما ادعى ذلك الكائن ، الذى تحدّثت عنه وسائل الإعلام ، وربما كانوا يحملون تلك الكائنات إلى هنا ، وليس العكس .

سأله المدير ، فى اهتمام أكبر :

- وما الغرض من هذا ؟

هزّ المساعد كتفيه ، قائلاً :

- ربما يختبرون قدرتها على التعامل معنا ، أو أنها جزء من حرب فيروسية مثلاً .

قال المدير فى توتر :

- ولكنهم تخلصوا من بعضها بالفعل ، فى مزرعة الأبقار .

قال المساعد فى سرعة :

- من يدرى ؟!.. ربما كانت هذه وسيلة للحفاظ على سر الباقين .. عملية تمويه ، لإخفاء وجود مئات من تلك الكائنات هنا .

أشار المدير بيده ، قائلاً :

- ولكننا شاهدنا الأنباء معًا ، وعلمنا كيف أنقذت تلك الكائنات (نور) وزوجته .

ابتسم المساعد ، قائلاً :

- وهل كنت تفعل العكس ، لو أنك فى موضعهم ؟

صمت المدير لحظات مفكرًا ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا ، ويقول :

- كلاّ بالطبع ؛ فما من تمويه أفضل من القيام بعمل بطولى ، أمام أعين الجميع ، وتحت سمع وبصر رجال الصحافة والإعلام ، ووكالات الأنباء المختلفة .. هذا

وحده كفيل بإظهارهم في صورة الأبطال ، والأصدقاء القادمين من الفضاء ، لإنقاذنا من الكائنات الشريرة .

قال المساعد في حماس :

ـ بالضبط ، وحتى لو عادوا إلينا ، بعد ربع قرن من الزمان كما يقولون ، فتاريخهم سيجعلنا نحسن استقبالهم ، دون أن يساورنا الشكّ في أمرهم .

هزّ المدير رأسه متفهمًا ، ثم سأل في اهتمام :

ـ لماذا كشفوا أمر ذلك الكائن الأخير إذن ؟!

قال المساعد في سرعة :

ـ مهلاً يا سيّدي .. إنهم لم يكشفوا أمره .. كل ما حدث هو أنه كشف نفسه بنفسه ، فتدخّلوا بصورة علنية للتصدّي له ، ولا تنس أنهم ادعوا عدم قدرتهم على مواصلة التصدّي له ، ورحلوا تاركين المواجهة مستمرة ، بيننا وبينه ، وكأنهم يختبرون قدرتنا على الصمود أمام قوته ، مع ملاحظة أنه أفضل كائن من نوعه ، كما ذكروا في الأنباء .

تنهّد المدير ، قائلاً :

ـ هل تعلم يا رجل ؟.. تحليلك هذا يبدو منطقيًا إلى حد كبير ، حتى أنه يبعث في جسدي قشعريرة مخيفة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث صوت قائد المكوك الفضائي المصري ، وهو يقول عبر أجهزة الاتصال الفضائي المتطوّرة :

ـ أمر مدهش يا رفاق .. لقد تجاوزنا القمر الدفاعي ، والشبكةَ المحيطة به تذوب تدريجيًا .. يبدو أنها شبكة مؤقّتة .

قال المساعد في حماس :

ـ ألم أقل لك يا سيّدي ؟.. إنهم لا يستطيعون بعد ، إفساد أسلحتنا على نحو دائم ، وهذا ما يدفعهم للتحايل ..

أشار إليه المدير بالصمت ، قائلاً :

ـ رويدك يا رجل .. أريد متابعة المشهد ، على شاشة الراصد ، فمن الواضح أن مكوكنا يقترب من سفينتهم الأم .

لاذ المساعد بالصمت ، وهو يتطلّع إلى الشاشة في اهتمام ، مراقبًا الصورة التي يبثّها المكوك الفضائي المصري ، للسفن الفضائية الثلاث ، التي انطلقت نحو بقعة مضيئة في الفضاء ، و ...

وفجأة ، ومع تغيير المكوك الفضائي المصري لزاوية انطلاقه ، اتضحت معالم تلك البقعة المضيئة ..

واتسعت عينا الرجلين فى انبهار ذاهل ..

حتى قائد المكوك الفضائى ، هتف مشدوهًا :

- ربَّاه !!.. إنها أضخم سفينة فضائية شاهدتها فى حياتى كلها .. تكاد تبلغ حجم مدينة كاملة .. هذا مستحيل !.. كيف استطاع هؤلاء الصغار بناء شىء هائل كهذا ؟!

ضغط مدير المحطة زر جهاز الاتصال بسرعة ، وهو يهتف :

- كفى يا رجل .. اعتبر أن مهمتك قد انتهت عند هذا الحد .. لا تواصل التقدم ..

عد يا رجل .. هذا أمر .

هتف قائد المكوك ، ولم يفارق الانبهار صوته بعد :

- لا ضرر من بقائى يا سيِّدى .. بشىء هائل كهذا ، يمكنهم اقتناصى ، حتى ولو هربت بأقصى سرعتى .. إنهم لا يستهدفوننى حتمًا .. ثم إن تلك السفينة الهائلة تستعد للإقلاع ، ولا أحب أن يفوتنى المشهد .

صاح المدير فى حدة :

- قلت لك : إن مهمتك انتهت .. عد على الفور ، وإلا حاكمتك بتهمة مخالفة الأوامر .

هتف الرجل ، وكأنه لم يسمعه :

- انظر يا سيِّدى .. ستقلع الآن .. انظر .

اتسعت عينا المدير ومساعده فى ذهول ، مع تلك السرعة المذهلة ، التى أقلعت بها السفينة الأم ، حتى أنه يمكن القول بأنها كانت هنا ، ثم وبعد لحظة واحدة ، أصبحت بعيدًا بعيدًا هناك ..

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، وبدون اتفاق مسبق ، دارت فى ذهن المدير ومساعده فكرة واحدة وتساؤل واحد ..

تُرى هل هؤلاء الفضائيون أصدقاء بالفعل ، أم أنهم أدوا أبرع مسرحية فضائية فى حياتهم ، ليخفوا غرضهم الحقيقى فى غزو الأرض مستقبلًا ..

وارتجف جسداهما مع البحث عن جواب ..

أى جواب ..

* * *

لثوان ، خُيِّل لـ (أكرم) أن ذلك الكائن (سْ) قد نجح فى السيطرة على عقل (نور) ، كما فعل مع الصبى ، الذى اكتسب قوة ، جعلته يجبر يده على إمالة فوهة مسدسه نحو رأسه ، ولن يلبث أن يأمر سبَّابته بضغط الزناد ، لتنطلق الرصاصة نحوه ، وتقتله على الفور ..

وتأكد ظنه هذا ، عندما أطلق (نور) أشعة مسدسه نحوه بالفعل ..

وقبل أن يهتف مستنكرًا ، فوجئ بالأشعة تصيب إبرة مسدسه ، وتذيبها ، لتمنع الرصاصة من الانطلاق ، حتى ولو ضغطت سبابته الزناد مرغمة ..

وقفز إلى ذهن (أكرم) سؤال حائر ..

لماذا قام (نور) بكل هذه المسرحية ، ليفعل هذا ؟..

وقبل أن يكتمل سؤاله فى عقله ، فوجئ بـ (نور) وهو يقفز قفزة مباغتة تجاوز بها الصبى ، الذى يقف بباب حجرته ، وهبط داخل الحجرة نفسها ، ثم ركل الكمبيوتر بكل قوته ، وحطَّم لوحة أزراره ، قبل أن يطلق النار على فرن (الميكروويف) ، وينسفه تمامًا ..

ومع هذه الحركة ، أدرك (أكرم) سر مسرحية (نور) ..

لقد فعل كل هذا ليشتت تفكير الصبى ، ويمنعه من التصدى له ، عندما يهاجم ذلك الكائن ، ويحطِّم جهاز البث ..

ولم يكن يدرك ، هو و (نور) ، أن تحطيم الجهاز جاء فى اللحظة المناسبة تمامًا ..

نفس اللحظة التى نضبت فيها طاقة سيارة البث المباشر ، وتوقفت فيها الموجة الاعتراضية ..

وفى غضب هائل ، استدار (أحمد) إلى (نور) ،

وانطلقت من عقله الصغير دفعة هائلة من الطاقة ، ضربت هذا الأخير ، ودفعته أمامها فى قوة ، ليرتطم بالجدار بكل العنف ..

كان من الواضح أن الكائن (س) قد سيطر على عقل الصغير تمامًا ، وجنَّده لبث قدراته العقلية المتطورة والإعلان عن غضبه الهادر ، لتدمير جهاز البث ، قبل أن يرسل الإشارة المنشودة ..

وحاول (نور) أن ينهض ، وأن يطلق أشعته على الكائن (س) ، ولكن دفقة أخرى من عقل (أحمد) انتزعته ثانية من مكانه ، وضربت به الجدار فى عنف أكبر ..

ولكن تركيز الصغير على قتال (نور) أدَّى إلى تحرُّر (أكرم) ، الذى اندفع نحوه ، وقفز يطوِّقه بذراعيه ، ويسقط معه أرضًا ، صارخًا :

- الآن .. الآن يا (نور) .

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، صوَّب (نور) مسدسه الليزرى إلى قطعة الكريستال ، وإلى قلبها النابض بذلك الضوء الأزرق بالتحديد ، وأطلق النار مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ومع الطلقة الرابعة ، دوى الانفجار ..

لم يكن انفجارًا عنيفًا ، ولكن موجة التضاغط الناشئة منه حملت (نور) ، وضربت به الجدار فى قوة ، ثم ألقته أرضًا ، وسط وهج أزرق رهيب ، اصطبغ به المكان كله لثانية أو ثانيتين ، قبل أن يتلاشى كل شىء فجأة ، وتتناثر فى الحجرة شظايا صغيرة مشتعلة ..

وفى اللحظة نفسها ، وقبل أن ينهض (نور) ، اندفعت المهندسة (نادرة) إلى البيت ، صائحة :

- (أحمد) .. (أحمد) .. ابنى .

تطلع إليها الصغير فى ذهول ، وقد بدت عليه علامات الإرهاق الشديد ، وهو يقول :

- أمى .. ماذا أصاب منزلنا ؟.. ماذا حدث ؟

اختطفته من بين ذراعى (أكرم) فى لهفة ، وضمته إلى صدرها فى قوة ، وراحت تمطره بالقبلات ، هاتفة بدموعها :

- فليذهب المنزل إلى الجحيم .. كل شىء يمكننا إصلاحه .. المهم أنك بخير .

وتعلق بصرها عبر النافذة ، بحوامة الإسعاف الثانية ، التى استقرت فى الحديقة ، وأسرع رجالها ينقلون (وجدى) إلى محفتهم ، وغمغمت :

- سنصبح جميعًا بخير بإذن الله .

ظهرت (مشيرة) و (سلوى) فى هذه اللحظة ، وأسرعت الأولى تحتضن زوجها ، قائلة :

- حمدًا لله على سلامتك ؟

وطبعت قبلة على خده ، مستطردة فى مرح :

- ولكنك أفسدت عملى بحق هذه المرة .

ضحك ، قائلًا :

- وماذا فى هذا ؟.. إنك تفسدين عملى دائمًا يا أميرتى .

أما (سلوى) ، فقد تعلقت بزوجها (نور) فى حنان ، وهى تقول :

- كنت واثقة من أنك ستفعلها .. كنت واثقة من أنك ستنتصر كالمعتاد .

ربت على رأسها فى رقة ، قائلًا :

- لقد وفقنا الله (سبحانه وتعالى) كثيرًا هذه المرة .

وعندما غادر المنزل معها ، وهو يحيطها بذراعه فى حب ، ارتفعت عيناه إلى السماء ، ورأسه يحمل عشرات التساؤلات ..

نفس التساؤلات ، التى دارت فى عقل مدير المحطة الفضائية ومساعده ..

ولكنه أضاف إليها تساؤلاً آخر ..

ما داموا يؤكدون أن تلك الكائنات شبه الفيروسية طفيلية ، لا يمكنها أن تحيا إلا فى أجسام حية ، فكيف امتلك ذلك الكائن (س) كل هذه القوة ، وهو على صورته هذه ؟!

أم أن تلك القطعة الكريستالية كانت مادة حية ، تمنحه القدرة على الحياة بدوره ؟!..

وأيًا كان التفسير ، فما زالت هناك نقاط عديدة غامضة ..

نقاط لم تفصح عنها تلك الكائنات الأخرى ..

مازال هناك سر غامض ، فى هذه العملية ..

سر يحتاج منه إلى أن يعيد دراسة الأمر كله مرات ومرات ..

ومن يدرى ؟.. ربما أوصلته هذه الدراسة إلى الحقيقة الفعلية للموقف كله ..

من يدرى ؟!..

* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

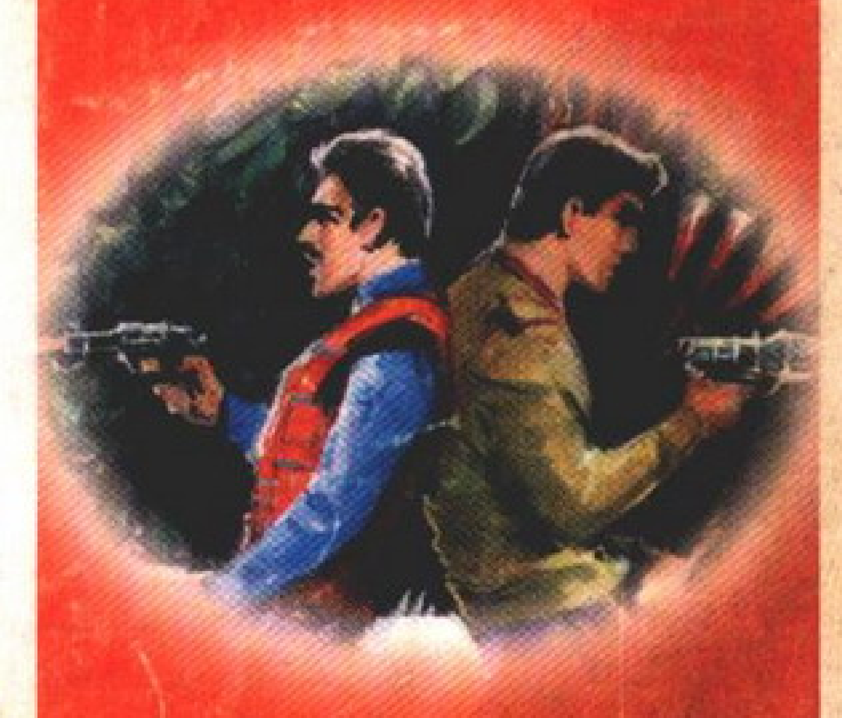
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى



د. نبيل فاروق

وجوه من ثلج

- ماسر ذلك الجسم الغريب ، الذى سقط من الفضاء فى (مصر) ؟! ..
- ما هؤلاء الآليون ، الذين يدمرون كل شىء فى طريقهم ، بحثًا عن شىء ما ؟! ..
- تُرى هل ينجح (نور) و(أكرم) فى التصدى للخطر الجديد ؟ أم تهزمهما (وجوه من ثلج) ؟! ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) و(أكرم) فى إنقاذ العالم أجمع ..



105

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : بلا أثر